الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عمار ثليجي – الاغواط –

كلية اللغات والآداب

قسم اللغة العربية وآدابها

قسم ما بعد التدرج

مذكرة تخرج ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في الأدب العربي

دراسات أدبية : تخصص : أدب عربي قديم

آليات الصياغة والبناء وأثرها في فن الرسائل

رسائل" أبي اسحق إبراهيم الصابي" – أنموذجا –

إعـداد الطالبة :

آمال بلحوت

إشراف الأستاذ

د/علي لخذاري

السنة الجامعية

١٤٣٨هـ /١٤٣٩هـ

2017م / 2018م

الفهرس

الفهرس

البسملة	
شكر وعرفان	
مقدمة	**أ - ج**
المدخل	**6 – 14**
آليات الصياغة والبناء عند القدماء والمحدثين	**7- 9**
تعريف الرسالة	**9 -11**
نشأة فن الرسالة	**11 - 14**
الفصل الأول: آليات البناء والصياغة في فن الرسائل	**15 - 39**
المبحث الاول: آليات البناء في فن الرسائل	**17 - 22**
المقدمات	**17 - 19**
حسن التخلص (صيغة أما بعد)	**19 - 20**
المضامين	**20 - 21**
الخواتيم	**21 - 22**
المبحث الثاني: آليات الصياغة في فن الرسائل	**23 - 39**
الاستشهاد بالقرآن الكريم	**24 – 25**
استخدام الشعر	**25 – 26**
الإيجاز والإطناب	**26 – 28**
التقديم والتأخير	**28 – 29**
الترغيب والترهيب	**30 – 31**
استخدام البيان	**31 - 34**
استخدام البديع	**34 – 39**
الفصل الثاني: استخراج آليات الصياغة والبناء في رسائل الصابي	**40 - 56**
المبحث الاول: آليات البناء في رسائل الصابي	**42 - 46**
المقدمات	**42 - 44**
حسن التخلص (صيغة أما بعد)	**44**
المضامين	**45**
الخواتيم	**45 - 46**
المبحث الثاني: آليات الصياغة في رسائل الصابي	**47 - 56**
الاستشهاد بالقرآن الكريم	**48**
استخدام الشعر	**48 - 49**
الإيجاز والإطناب	**49 - 50**

التقديم والتأخير	**50**
الترغيب والترهيب	**52 - 50**
استخدام البيان	**54 – 52**
استخدام البديع	**56 - 54**
خاتمة	**63 - 57**
قائمة المصادر والمراجع	**67 - 64**
الملاحق	**80 - 68**
الملحق رقم ١: التعريف بأبي اسحاق الصابي	**76 - 69**
أصله ونسبه	**70 - 69**
مكانته الأدبية	**72 - 70**
كتبه وآثاره	**76 - 72**
الملحق رقم ٢: الرسائل التي أخذت منها نماذج التحليل	**80 - 77**

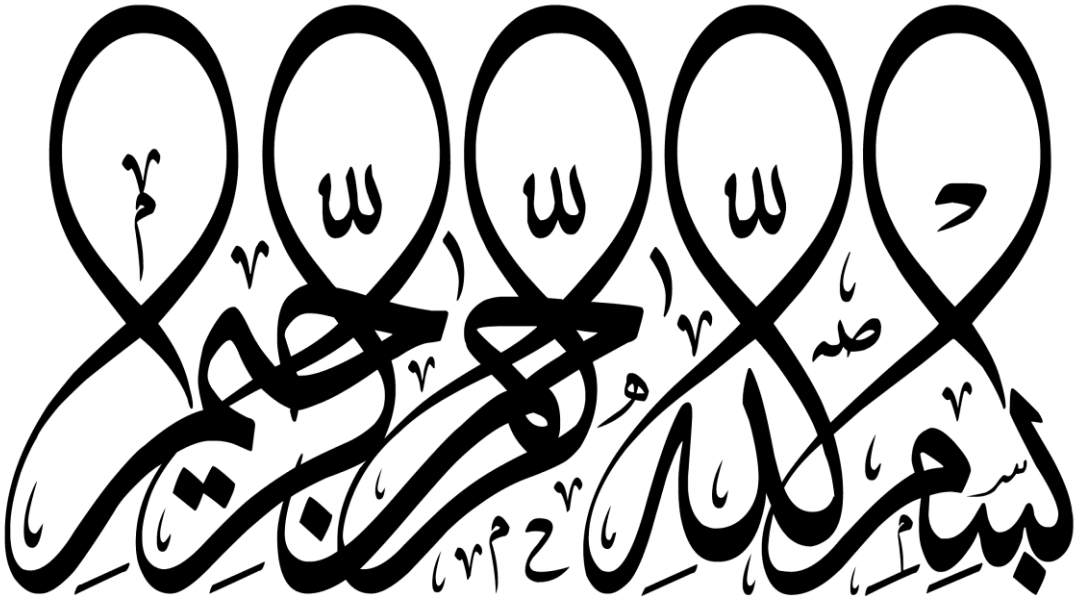
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر و عرفان

الحمد لله سبحانه وتعالى الذي وفقني لإنجاز هذه المذكرة ويسّر السبيل إليها وهداني

إلى طريق العلم

أتقدم بجزيل الشكر والتقدير للدكتور الفاضل "علي لخذاري" الذي أعانني كثيرا في هذا العمل ووقف إلى جانبي

والذي أشرف على هذا العمل وتابعه بجدية متابعة علمية دقيقة في مختلف المراحل. كما أشكر الأساتذة الكرام أعضاء لجنة المناقشة على تفضلهم بقبول مناقشة هذا العمل.

ولا يفوتني أن أشكر كل من دعمني وساعدني في انجاز البحث

وفي الأخير لا يسعني إلا أن أدعو الله عز وجل أن يرزقنا الرشاد، والعفاف والغنى وأن يجعلنا من الصالحين.

آمال بلحوت

مقدمة

الحمد لله حمد الشاكرين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين بلسان عربي فصيح مبين وعلى آله وصحبه الغرّ الميامين .

أما بعد :

لقد شهدت دراسة النثر من قبل الباحثين عن تراث العرب انتشارا واسعا بعد ما كان اهتمامهم منصبا على دراسة الشعر العربي – باعتباره ديوان العرب -، ومن أنواع النثر نجد فن الرسائل الذي يتضمن فنيات وأساليب لغوية تبين ميزة كل مرحلة من مراحل الأدب العربي وأزمنته.

ويعد العصر العباسي العصر الذهبي لفن الرسائل حيث ازدهر فيه هذا النوع الأدبي وشهد رواجا وأصبح له قواعد وروادا وشهد هذا العصر ظهور دواوين الإنشاء حتى صار الكُتَّاب في هذا العصر بمنزلة الوزراء حيث كانوا يقربون من الخليفة نفسه، حيث أنهم يتقلدون بعض الوزارات ومن أبرز الكتاب الذين أبدعوا في هذا الفن الصابي أبي اسحق الذي يعد من رواد هذا الفن وممن شُهد لهم في البلاغة والبيان في إنتاج رسائلهم.

وقد ركزت في بحثي هذا على بيان آليات البناء وآليات الصياغة التي اعتمدها الكاتب، والتي رفعته إلى سقف كُتّاب عصره ونقصد بآليات البناء في الرسائل الهيكل العام الذي بنيت عليه الرسالة عند الصابي من مقدمة وعرض وخاتمة وآليات الصياغة وتعني أهم الصيغ والأساليب التي بنى عليها الصابي رسائله خاصة في عصر الكاتب أبي إسحق الصابي . واتخذت بعض رسائله نموذجا للدراسة والتحليل.

إشكالية البحث:

إن الحديث عن آليات الصياغة والبناء في فن الرسائل يعني الحديث عن الدراسة الأدبية للرسائل كفن قائم بذاته، ومميزاته الفنية التي يحتويها، ومن شأن هذه الآليات أن تعلي مقام من يبرع فيها، وهو ما حصل مع أبي إسحق الصابي، **فماهي آليات الصياغة والبناء التي قامت عليها رسائل أبي إسحق الصابي؟**

وتندرج تحت هذا التساؤل عدة تساؤلات أهمها:

- ما هو فن الرسالة وكيف كانت نشأته ؟
- ماهي آليات الصياغة والبناء في الرسائل ؟
- كيف تجلت آليات الصياغة والبناء في رسائل الصابي ؟

للإجابة على التساؤل الرئيسي لبحثنا والتساؤلات الفرعية، تطرقت لتعريف فن الرسالة ونشأته وأهميته عبر العصور كمدخل، ثم تلاها فصلان، حيث تناولت في الفصل الأول آليات البناء كمبحث أول وفي المبحث الثاني آليات الصياغة، أما في الفصل الثاني فقد خصصته للجانب التطبيقي، في المبحث الاول منه تناولت آليات البناء في رسائل الصابي، أما المبحث الثاني فتناولت فيه آليات الصياغة في رسائل الصابي، ثم الخاتمة والتي عرضت فيها أهم النتائج التي خرجت بها على المستويين البنائي والصياغي.

أهداف البحث:

- تسليط الضوء على أهم الدراسات التي تناولت آليات الصياغة والبناء عند القدماء والمحدثين

- الوقوف على فن الرسائل ونشأته

- الوقوف على آليات الصياغة والبناء في فن الرسائل

- دراسة وتحليل رسائل الصابي وبيان آليات الصياغة والبناء التي ميزتها.

أهمية البحث:

تكمن أهمية دراستنا في أن آليات الصياغة والبناء من العوامل المهمة في تحديد مستوى ومكانة أي كاتب أو شاعر، حيث تظهر براعته في مدى تحكمه في هذه الآليات سواء على المستوى البنائي، أو على المستوى الصياغي، كما تجلى ذلك في رسائل أبي اسحاق الصابي .

أسباب اختيار الموضوع:

- الرغبة في دراسة فن الرسائل وبيان بنائها وصيغها التي كونت هيكلها العام .

- السمات الأسلوبية لرسائل الصابي التي تعكس بوضوح المستوى الإبداعي .

- محاولة إثراء الدراسات حول النثر العربي القديم ولو بدراسة متواضعة .

المنهج المستخدم: اعتمدنا في دراستنا هذه على المنهج الوصفي التحليلي حيث تناولنا بعض رسائل أبي اسحق الصابي بالتحليل والوصف لاستخراج أهم مميزات آليات الصياغة والبناء في هذه الرسائل .

صعوبات البحث:

- ضيق الوقت نظرا لصعوبة اختيار العنوان المناسب لحرصنا على اختيار عنوان يكون إضافة للبحث بعيدا عن المواضيع المستهلكة.

- صعوبة فهم لغة رسائل الصابي، نظرا لبلاغته وعلو مستواه اللغوي، ومحاولتنا تحليلها.

المدخل

لقد حاول النقاد منذ القدم دراسة النتاج الفني الأدبي دراسة تبين خصائصه الفنية ونواحيه الجمالية التي تميزه عن غيره من الاعمال أي منذ عهد الحضارة الإغريقية وكتابات أرسطو على نحو خاص الذي استنبط القواعد الفنية في الشعر والنثر، وبين أن الأسلوب وظيفته الإقناع وأنه لا يكفي ان يعرف المرء ما ينبغي ان يقال بل يجب قوله كما ينبغي[١].

وبين أن خصائص الأسلوب هي الصحة والوضوح والدقة، وقد استفاد الأوربيون في نهضتهم البلاغية من خلال ترجمة اعمال أرسطو، إلا أن العرب تعرفوا على أعمال أرسطو قبلهم وكان تأثرهم به أكثر في الدراسة الأدبية خاصة الناحية الأسلوبية، وقد كان نقد القدماء قائما على دراسة الأدب دراسة قائمة على مراعاة الناحية النفسية والاجتماعية للعمل الأدبي، أي مراعاة الجانب السياقي، حتى ظهرت جماعات عند الغرب نادت باستقلالية الدراسة الأدبية عن العلوم الانسانية الأخرى، وهنا بدأ الحديث عن مصطلح الادبية الذي ينادي بدراسة الأدب دراسة علمية دقيقة، كما يقول **جاكبسون** في هذا الصدد: " إن موضوع العلم الأدبي ليس هو الأدب وإنما أدبية الأدب أي ما يجعل من عمل أدبي أدبا"، وأول من رفع هذا الشعار الشكلانيون الروس، وسرعان ما انبثقت عنهم عدة مدارس كالبنيوية التي يرى **المسدي** أن اللسانيات نفسها قد ولدت البنيوية التي احتكت بالنقد الأدبي فاخصبا معا شعرية **جاكبسون** وإنشائية **تودوروف** وأسلوبية **ريفاتير** [٢].

---

[١] غنيمي هلال، **النقد الأدبي الحديث**، دار نهضة مصر للطباعة، القاهرة، ١٩٩٧، ص١١٤.

[٢] محمد عبد المنعم خفاجي، **الأسلوبية في البيان العربي**، الدار المصرية اللبنانية،ط١،القاهرة، ص٢٤

أما دراسة اللغة الأدبية فهي تعتمد بالدرجة الأولى على التعبير عن الوقائع المتصلة بالحساسية والانطباعات الايحائية الناجمة عن الاستعمال اللغوي بالإضافة إلى قيمها الجمالية، فلا يمكن أن تعثر في أي عمل على كلمة واحدة أدبية لا تهدف إلى ممارسة نوع من التأثير على الشعور[١].

وبالرجوع إلى قدماء العرب الذين ترجموا أعمال أرسطو حيث أصبح للبلاغة اليونانية أثر في علم البيان العربي، ويذهب البعض أن أول واضع للبيان هو الجاحظ، ويعد عبد القاهر هو الذي رفع قواعده وأحكم بناءه الذي يرى أن الجمال ليس في اللفظ ولا في المعنى ، وإنما هو في نظم الكلام أي هو في الأسلوب[٢]. وقد بين عبد المنعم خفاجي أهمية الصورة الأدبية ودورها في التأثير النفسي فيقول: " إن الصياغة والأسلوب طريقة الأداء أو طريقة التعبير التي يسلكها الأديب لتصوير ما في نفسه أو لنقله إلى سواه "[٣].

ولهذا كان على النقاد دراسة هذا التراث الأدبي النثري معتمدين في ذلك على بعض الأساليب التي تتيح لهم الولوج إلى كنه النص وإلى تقصي الجماليات التي تنطوي عليها الرسالة ومن بين الدراسات المعتمدة هي الدراسة الأسلوبية البلاغية التي تكشف عن الملامح الإبداعية لأي نص أدبي، والنظر إلى مكوناته الداخلية التي يضمها أسلوبه ويشملها النظم، والنظم والصياغة واحد، فإذا قلنا الصياغة فإنما نعني النظم فنظرية النظم لعبد القاهر الجرجاني إنما هي نظرية في الصياغة حيث يقول" ومعلوم ان سبيل الكلام سبيل التصوير والصياغة، وأن سبيل المعنى الذي يعبر عنه سبيل الشيء الذي يقع التصوير والصوغ فيه كالفضة والذهب ليصاغ

---

[١] صلاح فضل، **علم الأسلوب مبادؤه وإجراءاته**، دار الشروق، ط١، القاهرة ١٩٩٨، ص٢٢.
[٢] الأسلوبية في البيان العربي، ص٣٧
[٣] المرجع نفسه، ص ٤١.

منهما خاتم أو سوار، فكما أن محالا إذ انت أردت النظر في صوغ الخاتم، وفي جودة العمل ورداءته ، وإن تنظر إلى الفضة الحاملة لتلك الصورة، أو الذهب الذي وقع فيه ذلك العمل وتلك الصنعة "[١].

وقد أثار عبد القاهر كثيرا من المسائل الأساسية في الصياغة كفصاحة الكلمة وخلوها من الغرابة وتنافر الحروف ومسألة مطابقة الكلام للسامعين ومتى يحتاج إلى تأكيد، وكيف تتقدم أجزاؤها بعضها على بعض، ومتي تتأخر، ومتى تذكر، ومتى تحذف، ومتى تعرف، ومتى تنكر، ومتى تظهر، ومتى تضمر[٢] .

كل هذه الجوانب يجب أن يعرفها الكاتب او الشاعر بل وأن يتقنها حتى يتم له استقامة المعنى وايصاله على الوجه المطلوب.

وبهذا أصبحت الرسائل ذات أبعاد جمالية وفنية أدبية كانت محط اهتمام النقاد والدارسين وهذا ما جعل لها مكانة فنية وأدبية، فمصطلح الرسالة le message يشير إلى ما يتولد عنها من وظائف إنشائية la fontion poétique " وهي الوظيفة التي تكون فيها الرسالة غاية في حد ذاتها لا تعبر إلا عن نفسها فتصبح هي المعنية بالدرس"[٣].

---

[١] عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، مكتبة الخانجي للطباعة والتوزيع،القاهرة١٩٩٢، ص٢٥٤ .
[٢] الأسلوبية والبيان العربي، ص٤٦
[٣] المرجع نفسه، ص٢٠.

1- تعريف الرسالة:

لغة:

من رسل، الراء والسين واللام أصل واحد مطرد منقاس يدل على الانبعاث والامتداد، فالرسل السير السهل، وناقة رسالة لينة المفاصل، وشعر رسل إذا كان مسترسلا، وتقول جاء القوم أرسالا، يتبع بعضهم بعضا[١]، وأرسل الشيء أطلقه وأهمله، يقال أرسلت الطائر، ويقال أرسلت الكلام أطلقه من غير تقييد[٢].

والترسل كالرسل، والترسل في القراءة والترسيل واحد، قال: وهو التحقيق بلا عجلة وقيل بعضه على أثر بعض والارسال. التوجيه وقد أرسل إليه والاسم الرسالة أو الرسالة أو الرسول الرسيل، وسمي الرسول رسولا أي ذو رسول أي ذو رسالة .

وهنا نجد أن هناك طرفين في الرسالة ألا وهو المرسل والمرسل إليه، وقد فرق ابن وهب الكاتب بين الرسالة والترسل حيث جعل الترسل لمن تكرر لديه فعل المراسلة أما الرسالة فإنها لمن فعل ذلك مرة واحدة إذ يقال له أرسل يرسل إرسالا وهو مرسل، الاسم الرسالة أو راسل يراسل مراسل، وهو مراسل وذلك إذا كان هو ومن يراسله قد اشتركا في المراسلة[٣].

---

[١] أبو فارس أحمد بن فارس بن زكرياء، **معجم مقاييس اللغة**، دار الجيل بيروت١٩٧٩،ص٣٩٢

[٢] مجمع اللغة العربية، **معجم الوسيط** ، ط٤، مكتبة الشروق الدولية ،القاهرة ٢٠٠٤، ص٣٤٤

[٣] اسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب، **البرهان في وجوه البيان**، مكتبة الشباب القاهرة١٩٦٦، ص١٥٢

اصطلاحا:

الرسالة فن من فنون النثر القولية، عرفها العرب منذ القدم، وهي مثل فنون النثر الأخرى (القصة، المسرحية، السيرة الذاتية) لها خصائصها المميزة التي تجعلها فنا قائما بذاته[١].

وقد جاء في **معجم الكافوري** أن الرسالة أطلقت على العبارات المِؤلفة والمعاني المدونة لما فيها من ايصال كلام المؤلف ومراده إلى المؤلف له وأصله المجلة أي الصحيفة المشتملة على كتب المسائل من فن واحد[٢].

وهدفها ايصال الأخبار وغيرها مما يريد المرسل ايصاله إلى المرسل إليه مما يتضمن الأغراض أو الموضوعات التي تتناولها الرسالة من حكاية حال أو مدح أو تقريض أو مفاخرة بين شيئين أو غير ذلك مما يجري هذا المجرى[٣].

٢- نشأة فن الرسالة:

يظن البعض أن فن الرسالة لم يظهر إلا بعد الاسلام بفترة طويلة معتمدين على المقولة المشهور" بدأت الكتابة بعبد الحميد وانتهت بابن العميد"، وهذه المقولة تعني الرسالة المتميزة أدبيا، أما الرسائل كما ترى فقد عرفت منذ العصر الجاهلي متوسلة بدواعي ظهورها مثل رسالة عمر ابن هند التي حوت سطورها مقتل طرفة بن العبد[٤].

---

[١] حسين علي محمد، **التحرير الأدبي، درسات نظرية ونماذج تطبيقية**،ط٧، مكتبة العبيكان، ص ١٥١

[٢] أبوالبقاء الكافوري،الكليات، **معجم المصطلحات والفروق اللغوية**،مؤسسة الرسالة، ١٩٩٨،ص٤٧٦

[٣] أبو العباس أحمد القلقشندي، **صبح الأعشى**، الهيئة العامة الذخائر ، مصر ٢٠٠٤، ص١٣٨ لقصور الثقافة ط،ج١٤،

[٤] ياسر عبد الحسيب رضوان، **فن الرسالة – دراسة أسلوبية حجاجية-**، شبكة الألوكة، ص٤

ثم وجدنا رسول الله صلّى الله عليه وسلم يكاتب الملوك والأمراء والمعاصرين داعيا إياهم إلى الاسلام، وقد عرفت الرسائل منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم سمات فنية وجمالية وطابعا خاصا يطبعها بجمال زمانها فنيا، وقد اختلفت وفقا للغرض والمرسل إليه وعلى الرغم من اختلافها إلا أنها اشتركت في بعض السمات المميزة كابتدائها بالبسملة ثم " من محمد رسول الله إلى فلان" أو يقول هذا كتاب من محمد رسول الله إلى فلان أو إلى فلان مباشرة، وكأن يأتي في صدور كتبه بالسلام فيقول للمسلم "سلام عليك"، ولغير المسلم " السلام على من اتبع الهدى"، وقد يأتي بالتشهد[١]، ثم بعد ذلك عرفناها في وصايا الخلفاء، وفي الرسائل التي أرسلها خلفاء بني أمية وقد أصبح لها طابع خاص حيث صار يجيدها العديد من الكتاب وأنشأت لها الدواوين نذكر ديوان الرسائل التي أقامه معاوية وديوان الختم وديوان البريد[٢].

ويرى الدكتور حسين نصار أن في هذا العصر لم تختلف كثيرا عن سابقتها ولكنها تصل في النهاية إلى طور يغاير أوائل الفترة الأولى مغايرة تامة، فليست لغتها بلغة الخطاب العادي ولكنها لغة مجملة ولاشك، وإنما هو نوع من التروي والتجويد[٣]، كاستعمال السجع والاطالة والألفاظ نادرة الاستعمال والاعجاب بفواصل القرآن، وقد أخذت هذه الظاهرة تتطور وتفشو حتى أننا نجد عبد الحميد الكاتب في آخر هذا العصر يكتب رسالة يقال أنها استوعبت مجاميع ضخمة من الصحف[٤]. وقد وضع هذا الأخير القواعد النهائية للكتابة في الرسائل وسار عليها جميع الكتاب فيما بعد،

---

[١] حسين نصار، **نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ٢٠٠٢، ص٤٤

[٢] خالد الحلبوني، **فن الرسائل النثرية في العصر العباسي**، ص.ص ٢٤،٤٣

[٣] نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي ، ص٧٦

[٤] المرجع نفسه، ص٨٠

حيث أطال التحميدات في الصدور لتأثره بخطب علي بن أبي طالب وعلى الرغم من ميل كتاب هذا العصر إلى التحسين والتجميل إلا أنه لم يخرج بهم إلى مرتبة التكلف أو السعي وراء السجع أو البديع، على عكس العصر العباسي فقد نشطت الكتابة في هذا العصر نشاطا واسعا، فقد توفرت عليها مئات من أصحاب الأقلام يحدوهم في ذلك ما كانت تدره عليهم من أرزاق واسعة، وقد يرتقي من ينبغ فيهم أن يصبح وزيرا للخليفة[١]. بحيث آثر الكتاب في هذا العصر فيه استعمال السجع وأسرفوا في توشية الكتابة بفنون التورية والموازنة والمطابقة والجناس، بالإضافة إلى التزام السجع في جميع الرسائل مثل الشريف الرضي وأبي اسحاق الصابي، وحرصوا على تضمين الرسائل أطايب الشعر ومختار الأمثال.

ومن الكتاب من يبدأ رسالته ببيت أو بيتين يتقدم بهما كلامه، كما كان يفتتح الأولون رسائلهم بالحمدله والصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام، ومنهم من يختم الرسائل بالشعر كما يختتمه الأولون بعبارة السلام على من اتبع الهدى[٢]. وأصبح الكتاب لا يتقيدون بصيغة خاصة في بداية الكتب فكانوا يجرون على السليقة، فمنهم من يبتدئ بالشعر أو بحكمة أو مثل أو قصة، ومنهم من يدخل في الموضوع بدون مقدمات ولا يراعون القواعد إلا إذا خاطبوا الامراء والملوك فعند ذلك يبدؤون بالعبارات المملوءة بالمجاملة والرفق[٣].

وقد توزعت آليات الصياغة وآليات البناء حسب الهيكل العام للرسائل وما يشتمل عليه كل جزء من أجزاء هذه الرسائل من مقدمة، مضمون وخاتمة،

---

[١] شوقي ضيف، **تاريخ الأدب العربي –العصر العباسي الأول-**، دار المعارف،ط١، ص٤٦٥

[٢] زكي مبارك، **النثر الفني في القرن ٤** ، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة، مصر٢٠١٢، ص١٠٦.

[٣] المرجع نفسه، ص١١٥ .

بحيث تتكون الرسائل في بنائها الهيكلي العام من مقدمة ويشترط فيها حسن الاستهلال ومراعاة مقتضى الحال ومقام المرسل إليه، بحيث تشد الانتباه وتتلقى استحسان المرسل إليه، أما المضمون فيحتوي على موضوع الرسالة ويشترط فيه ربط المعاني بعضها ببعض في رصف جيد متوشحا بالبلاغة والفصاحة، ثم الخاتمة التي يشترط فيها حسن الخروج من الموضوع مع تمام ايصال الفكرة باستعمال شتى عبارات الثناء... .

الفصل الأول: آليات البناء والصياغة في الرسائل

المبحث الأول: آليات البناء في الرسائل

المبحث الثاني: آليات الصياغة في الرسائل

المبحث الأول: آليات البناء في الرسائل

١- المقدمات

٢-حسن التخلص (صيغة أما بعد)

٣- المضامين

٤- الخواتيم

المبحث الأول: آليات البناء في الرسائل

تتكون الرسائل في بنائها العام من مقدمة، مضمون وخاتمة إلا ان البناء يختلف من رسالة لأخرى بحسب نوعها، إلا أننا سنتناول بناء الرسائل في طابعها العام والذي يكون على الشكل الآتي:

١- المقدمات:

وهنا يجب على الكاتب أن يحسن الابتداء فيشد به ذهن القارئ وقد سميت ببراعة الاستهلال، حيث يبتدئ الكاتب بما يتضمن معنى الرسالة كما جاء في كتاب "حسن التوسل" والكاتب أشد ضرورة إلى ذلك من غيره فيبني كلامه على نسق يستدل منه على مقصده من اول وهلة ما في خطبة أو تقليد او دعاء"[١].

ويقول صاحب المثل السائر" أن يكون الكتاب عليه جدة ورشاقة، فإن الكاتب من أجاد المطلع والمقطع، وأن يكون مبنيا على مقصد الكاتب[٢]، وتكون كالآتي:

أ- **صيغ الحمد في الاستهلال:** حيث تبدئ الرسائل عادة بالحمد له والتهليل ثم تفتتح بلفظ "أما بعد"، ثم يشرع في ذكر الألقاب والأوصاف بما يتلاءم مع رتبة المرسل إليه وهي كما وصفها القلقشندي في كتابه صبح الأعشى في ذكر المقدمات" ويكتب بعد الصدر بخطبة مناسبة أولها الحمد لله إلى آخرها، ثم " أما بعد" ويذكر ما يرى ذكره من حال الولاية والمولى، ويذكر اسمه، وهو أن يقال: ولما كان المقر أو الجناب، وألقابه ونعوته إلى

---

[١] شهاب الدين محمود الحلبي، **حسن التوسل في صناعة الترسل**، دارالوهبية، مصر ١٣٩٨ه، ص٦٥

[٢] ضياء الدين بن الأثير، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**،مطبعة مصطفى البابي أولاده،ص٧٢

آخرها، ويدعى له، اعز الله أنصاره ونصرته، أو نحوه، على ماجرت به عادته، ولا يزاد على دعوة واحدة، ثم يقال ما يفهم أنه المراد بهذه الأوصاف، أو المعني بهذه الإشارة أو نحو ذلك[١].

نبه أبو الهلال العسكري على أهمية التحميد وأثره في النفوس فقال" إذا الابتداء حسنا بديعا وملمحا رشيقا، كان داعية إلى الاستماع لما يجئ بعده من الكلام لهذا جعل أكثر الإبتداءات " الحمد لله" لأن النفوس تتشوق للثناء على الله فهو داعية للاستماع[٢].

وقد بين القلقشندي أن التقاليد لا تفتح إلا بالحمد له بحيث يقول" وأما متن التقليد، فقد قال في التعريف أن التقاليد لا تفتح كلها إلا بالحمد لله وليس إلا[٣]، وقد قصر بن الأثير التحميدات على صدور الرسائل السياسية لملاءمتها لموضوع الرسالة، حيث يقول" من الحذاقة في هذا الباب أن تجعل التحميدات في أوائل كتب السلطانية مناسبة لنعاني تلك الكتب، وإنما خصصت للكتب السلطانية دون غيرها لأن التحاميد لا تصدر في غيرها، فإنها تكون قد تضمنت أمورا لائقة بالتحميد، كفتح معقل أو هزيمة جيش أو ما يجري هذا المجرى"[٤]. كما يكون الحمد ملائما للغرض المنشود في الرسالة فإذا كان بين العلماء كان الحمد على ما أوتوا من علم وحكمة وإذا كان في رسائل سلطانية فقد يرد في رسالة تقلد منصب أو فتح ثغر من الثغور .

---

[١] أبو العباس أحمد القلقشندي، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، ج١١، ص١٠٧

[٢] أبو هلال العسكري، **الصناعتين**، د.ن.غ.م، ص١٣١

[٣] صبح الأعشى،ج١١، ص١٠٥ .

[٤] المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ص١٠٨

ب- الدعاء: أكثر كتاب الرسائل من استعمال العبارات الدعائية التي من شأنها التعظيم والتوقير وقد شملت جميع انواع الرسائل حتى أنهم أطنبوا في ذلك دون حرج، حيث رأى الصولي ذلك في قوله" قد استعمل الناس قريبا من ترتيب الدعاء وتكثيره وتقليله أشياء كلفوا أنفسهم فيها مؤونة المخاضة فيها والتحفظ منها"[١].

ويشترط في ذلك مراعاة مقام المرسل إليه وهذا ما جاء عند أبي هلال العسكري فيقول" وينبغي أن يكون الدعاء على حسب ما يوجبه الحال بينك وبين من تكتب إليه وعلى القدر المكتوب فيه[٢]، ومن هنا نجد أن مقتضى الحال ومقام المرسل إليه يحدد نوع الدعاء والقدر الذي يجب أن يكون عليه، وقد اكد ذلك ابن الأثير في قوله" ان يكون الدعاء المودع في صدر الكتاب مشتق من المعنى الذي بني عليه الكتاب"[٣]. إلا ان كثرة الدعاء تستقبح في الرسائل الإخوانية لأنه عادة يكون بين الأباعد وفيه كثير من التملق حتى في الرسائل السلطانية فإنها مدعاة لملل السلطان أثناء قراءة الكتابة .

٢- حسن التخلص (صيغة أما بعد):

وتسمى فصل الخطاب لأن أول من قالها داوود عليه السلام في قوله تعالى:" **وَآتَيْنَاهُ الحِكْمَةَ وَفَّصْلَ الْخِطَابْ**" صدق الله العظيم[٤]، ويقصد بفصل الخطاب هنا "أما بعد" "فمعنى فصل الخطاب على هذا إنما يكون بعد

---

[١] أبو بكر محمد الصولي، **أدب الكتاب**، المكتبة العربية ببغداد، العراق ١٣٤١هجري، ص٣٩.
[٢] الصناعتين، ص١٥٩.
[٣] المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ص٧٢.
[٤] سورة ص، الآية رقم ٢٠

الحمد لله أو بعد الدعاء أو بعد قولهم **من فلان ابن فلان إلى فلان،** فيفصل بها بين الخطاب المتقدم وبين الخطاب الذي يجئ بعده[1].

وتسمى التخلص بمعنى الانتقال من مقدمة الرسالة إلى الموضوع أو الغرض المطلوب وقد سار الكتاب على استعمال هذا منذ العصر الاسلامي، ويقول ابن الأثير فيهذا الصدد" أن يكون خروج الكاتب من معنى إلى معنى برابطة، لتكون رقاب المعاني آخذه ببعضها البعض ولا تكون مقتضبة، ولذلك باب مفرد أيضا يسمى باب التخلص والاقتضاب، وهذا الركن أيضا يشترك فيه الكاتب والشاعر" [2]

٣- المضامين:

يأتي بعد الحمد والتهليل والدعاء والثناء وذكر الألقاب ما يراد أو الحاجة التي دعت لتحرير الرسالة كأن يقال" أما بعد اطال الله بقاء امير المؤمنين وأدام عزه وتأييده وكرامته وسعادته،..." ويكون في سطرين ثم يقال بعد ذلك" فقد كان كذا وكذا"، لأن جواب اما بعد ب"الفاء" فقد كان كذا وكذا فإذا أتى على جميع المعاني المحتاج إلى المكاتبة فيها حتى بلغ الدعاء[3]، وتعتبر عبارة" وبعد" كتمهيد من المقدمات إلى الأغراض، وقد تنوعت المضامين بما يتناسب والمقام أو المرسل إليه وهنا يحتاج إلى فصاحة الكاتب وقدرته على القبض على المعاني ووضعها في قوالب وصيغ تبين مكنته اللغوية وبلاغته.

---

[1] أدب الكتاب، ص٣٧.
[2] المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ص٧٣.
[3] أدب الكتاب، ص١٦٤.

وبذلك ظهرت الرسالة في بناء فني متكامل وقد ارتقوا بأساليبها البيانية، وعنو باستعمال المحسنات البديعية المختلفة من سجع وجناس ومقابلة وازدواج، ومالوا أحيانا إلى الايجاز أو الإطناب حسب ما اقتضت الحاجة، وإلى تدعيم الرسالة بالشعر، حيث يرى صاحب المثل السائر" أكمل الصفات صفات الخطيب والكاتب أن يكونا شاعرين"[١] ."وأن تكون ألفاظ الكتاب غير مخلولقة لكثرة الاستعمال، ولا أريد بذلك ان تكون ألفاظا غريبة فإن ذلك عيب فاحش، بل أريد ان تكون الألفاظ المستعملة مسبوكة سبكا غريبا، يظن السامع انها غير ما في أيدي الناس، وهي مما في أيدي الناس، وهناك معترك الفصاحة التي تظهر فيه الخواطر براعتها، والأقلام شجاعتها"[٢].

٤- الخواتيم:

وعند الفراغ من ذكر الحوائج والأغراض المنشودة من الرسالة تختم الرسائل بالاكتفاء بعبارة" والسلام" وهي اختصار لعبارة "السلام عليكم ورحمة الله"[٣]، أو يختم بالدعاء كقوله" أتم الله على امير المؤمنين نعمته وهناه..." و"كتب فلان ابن فلان يوم كذا في شهر كذا"[٤].

ويجب على الكاتب أن يحسن الخروج بعبارات تترك أثرها المنشود من وراء الرسالة، ويكون ذكر السلام مسبوقا بالدعاء كما تشتمل الرسائل على

[١] المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ص ١٣٩.
[٢] المرجع نفسه، ص٧٣.
[٣] النثر الفني في القرن، ص١١١.
[٤] أدب الكتاب، ص١٦٤.

اليوم والشهر والسنة كعلامة على انتهاء الرسالة ويشترط في الاختتام ما يشترط في الابتداء من جودة وحسن لأنه آخر ما يتبقى.

المبحث الثاني: آليات الصياغة في الرسائل

١- الاستشهاد بالقرآن الكريم

٢- استخدام الشعر

٣- الايجاز والاطناب

٤- التقديم والتأخير

٥- الترغيب والترهيب

٦- استخدام البيان

٧- استخدام البديع

المبحث الثاني: آليات الصياغة في الرسائل

١- الاستشهاد بالقرآن الكريم:

القرآن هو كتاب الله المنزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، المعجز بألفاظه المتعبد بتلاوته وقد أعجز أهل زمانه من أرباب الفصاحة والبيان، فالاستعانة به في الرسائل ضرب من البراعة والتمكن من تطويع اللغة كما عد فيه نوع من التعبد لذلك ترى الكتاب قد نهلوا من فيض معانيه ومبانيه، كما يشترط في الكتاب حفظ القرآن الكريم لتمثل آياته أثناء كتابة الرسالة، يرى ابن الأثير" أن لا يخلو الكتاب من معنى من معاني القرآن الكريم والأخبار النبوية فإنها معدن الفصاحة والبلاغة"[١].

وقد استشهد أيضا بالحديث النبوي إلا أنه ليس بالكثرة التي وردت فيها الآيات القرآنية نظرا لقداسة كلام الله عز وجل، هذا من باب التضمين، أما عن استنباط معاني القرآن الكريم ومحاولة صياغتها في قالب جيد يقول ابن الأثير" وأما حل آيات القرآن العزيز فليس كنثر المعاني الشعرية لأن ألفاظه ينبغي المحافظة عليها، لمكان فصاحتها، إلا أنه لا ينبغي أن يؤخذ لفظ الآية بجملته فإن ذلك من باب التضمين، وإنما يؤخذ بعضه"[٢].

ويشترط أن يكون في ذلك متجهبذا في صوغ المعاني من جواهر ألفاظه وكذلك يصنع بالحديث الشريف إلا أنه ليس كالقرآن محصورا وله ضوابط وأحكام لأن فيه الموضوع والضعيف، لذلك ينبغي على الكاتب حفظ ما صح من الحديث .

---

[١] المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ص٧٥.
[٢] المرجع نفسه، ص١١٤.

أما عن كيفية استعمال آيات القرآن الكريم فيرى القلقشندي أن تضمين الكلام بعض آي القرآن الكريم ينقسم عند أهل البلاغة إلا قسمين[١]:

- أحدهما: الاستشهاد بالقرآن الكريم وهو أقلهما وقوعا في الكلام ودورانا في الاستعمال: وهو أن يضمن الكلام شيئا من القرآن الكريم وينبه عليه.

- الثاني :الاقتباس وهو أن يضمن الكلام شيئا من القرآن وأن ينبه عليه في خطبة التعريف كقوله "نحمده على فواضل زادت محاسن العلوم وعرفت تفاوت درجات الأولياء إذ قالو " وما منا إلا له مقام معلوم""

٢- استخدام الشعر:

ألف كتاب القرن الرابع الكتابة في بعض الموضوعات التي كانت خاصة بالشعر كالغزل والمديح والهجاء والفخر والوصف وذلك لأنهم نقلوا إلى النثر محاسن الشعر من الاستعارة والتشبيه والخيال، والنثر غذا أخد خصائص الشعر فأصبح أقدر منه على الوصف لخلوه من قيد الوزن والقافية، بحيث يرى القارئ من جمال الصنعة وجمال الأسلوب ما يغنيه عن التفكير في قصائد الشعراء الذين سبقهم هؤلاء الكتاب إلى تصيد ما يقضي به العقل أو يوحي به القلب، أو يشير إليه الخيال[٢].

وقد بين ابن الأثير كيفية استخدام الشعر في الرسائل وذلك عن طريق نثرها ليبلغ ذروة حسن التعبير في الرسائل، فقد قسم حل الأبيات الشعرية إلى ثلاث[٣]:

---

[١] صبح الأعشى، ص. ص ١٩٤،١٩٧.
[٢] النثر الفني في القرن، ص١٠٧.
[٣] المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ص.ص.ص٨١،٧٩،٧٨.

أ- أن يأخذ الناثر بيتا من الشعر فينثره بلفظه من غير زيادة وهذا عيب فاحش

ب- أن ينثر المعنى المنظوم ببعض الفاظه ويعزم عن البعض بألفاظ أخر وذلك عن طريق مماثلة بعض الألفاظ .

ج- أن يِخذ المعنى فيصاغ بألفاظ غير ألفاظه، وثم يتبين حذق الصائغ في صياغته .

كما أن الاستشهاد بالشعر فيه من قوة الحجة وسرعة بلوغ المقصد، ففي الشعر معاني غزيرة واستعمال للخيال في أجل صوره حيث يقول صاحب الصناعتين" ومن صفات الشعر الذي يختص بها أن الانسان إذا أراد مدح نفسه فأنشأ رسالة في ذلك وعمل خطبة فيه، جاء في غاية القباحة، وعمل فيذلك أبياتا من الشعر احتمل"[1]

٣- الايجاز والإطناب:

الايجاز وهو القصر والحذف، فالقصر تقليل وتكثير المعاني وهو قول الله عز وجل: **"وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونْ"** صدق الله العظيم[2].

وقال بعضهم: البلاغة بالإيجاز أنجع من البيان بالإطناب، وقيل : "المكثار كحاطب الليل"، وقيل لبعضهم: "من أبلغ الناس؟"، قال: "من حل المعنى المزيز باللفظ الوجيز"[3]

---

[1] الصناعتين، ص١٣٩.
[2] سورة البقرة، الآية ١٧٩.
[3] الصناعتين، ص١٧٥.

نحو قوله صلى الله عليه وسلم:" إنما الأعمال بالنيات " وهنا قد ضمن حديثه صلى الله عليه وسلم الكثير من المعاني التي يطول شرحها كما أنها استوفت المعنى ووصلت إلى الأذهان، وقد تناوله الكثير من النحاة والبلاغيين بالدرس والتحليل نظرا لأهميته اللغوية والبلاغية، حيث أشار صاحب كتاب البلاغة القرآنية إلى جهود البلاغيين في التعرض لموضوع الحذف، حيث يقول وقد تعرض لهذا الموضوع الكثير من البلاغيين قبل عبد القهار، وكان الايجاز هو البلاغة كما قالو، أو قسم من أقسامها العشرة كم ذكر الرماني[1].

يقول عبد القاهر الجرجاني عن الحذف وفوائده "هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر فإنك ترى به الذكر أفصح من الذكر، ولصمت عن الافادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذ لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن[2].

وقد جاء الحذف في كتاب الايضاح حيث يقول القزويني: " واعلم أن الحذف على وجهين:

أ- أحدهما : لا يقام شيء مقام المحذوف .

ب- الثاني: ان يقوم مقامه ما يدل عليه، وأدلة الحذف كثيرة، كإدراكه بالعقل أو تدل عليه العادة أو اقتران الكلام بالفعل".

أما عن الإطناب وهو إما بالإيضاح بعد الإبهام ليرى المعنى في صورتين مختلفتين، أو ليتمكن في النفس فضل تمكن، فإن المعنى إذا ألقي

---

[1] محمد حسنين أبو موسى، **البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري**،دار الفكر العربي،القاهرة،ص١٩٩

[2] دلائل الإعجاز، ص١٤٦.

على سبيل الإجمالي والإبهام تشوقت نفس السامع إلى معرفته على سبيل التفصيل والايضاح، فتتوجه إلى ما يرد بعد ذلك، فإذا ألقي كذلك تمكن فيها فضل تمكن، وكان شعورها به أتم كقول زهير[١]:

واعلموا علم اليوم والأمس قبله * ولكنني عن علم ما في غد عمي**

وللإطناب أغراض بلاغية عدة منها: **" الإيضاح بعد الإبهام، ذكر الخاص بعد العام للتنبيه على فضله، وإما بالتكرار للتنبيه، وعن فضل الاطناب قال أصحابه : " المنطق إنما هو بيان، والبيان لا يكون إلا بالإشباع، والشفاء لا يقع إلا بالإقناع، وأفضل الكلام أبينه، وأبينه أشده إحاطة بالمعاني، ولا يحاط بالمعاني إحاطة تامة إلا بالاستقصاء، والإيجاز للخواص، والإطناب مشترك فيه الخاص والعام، والغبي والفطن، والمريض والمرتاض، ولا معنى ما أطيلت الكتب السلطانية في إفهام الرعايا"**[٢] .

٤- التقديم والتأخير:

وهما من الفنيات التي يستخدمها الكاتب من أجل ايصال المعنى على الوجه المطلوب حيث يقول السيد أحمد الهاشمي في كتابه جواهر البلاغة: "معلوم أن الألفاظ قوالب المعاني، فيجب أن يكون ترتيبها الوضعي حسب ترتيبها الطبعي"، ومن البين أن رتبة المسند إليه التقديم لأنه المحكوم عليه، ورتبة المسند التأخير إذ هو المحكوم به، وما عداهما فهو متعلقات وتوابع تأتي تالية لهما في الرتبة، ولكن قد يعرض لبعض الكلم من المزايا

[١] الخطيب القزويني محمد بن عبد الرحمان جلال الدين، **الإيضاح في علوم البلاغة**، ط١، دار الكتاب العلمية، لبنان،٢٠٠٢، ص١٥١

[٢] الصناعتين، ص ١٩٠ .

والاعتبارات ما يدعو إلى تقديمها إن كان من حقها التأخير فيكون من الحسن إذن تغيير هذا الأصل واتباع هذا النظام ليكون المقدم مشيرا إلى الغرض الذي يؤدي إليه ومترجما عن ما يريد[1].

وقد بين صاحب كتاب الايضاح أن التقديم والتأخير ضربان:

أ- تقديم على نية التأخير: وذلك في شيء أقر مع التقديم على حكمه الذي كان عليه، كتقديم الخبر على المبتدأ، والمفعول به على الفاعل، مع الإبقاء على حكم كل منهما من رفع ونصب ... .

ب- تقديم لا على نية التأخير: ولكن ان ينقل الشيء من حكم إلى حكم ويجعل له إعرابا غير إعرابه، كما في اسمين يحتمل كل منهما ان يجعل مبتدأ والآخر خبرا له، فيقدم تارة هذا على هذا، وأخرى ذاك على هذا[2].

وتتمثل الأغراض التي من أجلها يأتي التقديم كتعجيل مسرة أو مساءة او التشويق أو التلذذ أو التبرك،.... . ويؤخر المسند إليه إن اقتضى المقام تقديم المسند .

وفي فوائد التقديم والتأخير يقول عبد القاهر: " هو باب كثير، الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لايزال يفتر بك عن بديعة، ويقضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد أن راقك ولطف عندك، أن قدم فيه شيء، وحول اللفظ عن مكان إلى مكان [3].

---

[1] السيد أحمد الهاشمي، **جواهر البلاغة في المعاني**..،ط١،دارالآفاق العربية، القاهرة٢٠٠٢،ص١١٢

[2] الإيضاح في علوم البلاغة، ص.ص،٦٥،٦٦.

[3] دلائل الإعجاز، ص١٠٦.

٥- الترغيب والترهيب:

وقد وردت صيغتا الترغيب والترهيب كوسيلتين للإقناع والوعظ والزجر إما بالأمر أو النهي، والأمر هو طلب حصول الفعل من المخاطب على وجه الاستعلاء، وله أغراض بلاغية كالتهديد والإرشاد والإذن،... ، وقد ورد كثيرا في كتب السلاطين إلى ولاتهم متضمنة عزلا أو تنصيبا، وفي الترغيب والترهيب والوعيد، حيث يقول صاحب البلاغة القرآنية " الترغيب في المأمور به وذلك إذا كان الأمر بالشيء عقب النهي عن نقيضه[١] ، وهذا لزيادة الرغبة في الشيء وهذا من أساليب القرآن الكريم، وقد تكررت كثيرا صيغ الترهيب والترغيب في كتب السلاطين وكانت هي مربط الفرس والداعي لكتابة الرسالة، وقد يكون النهي عن الفعل دالا على شدة الرغبة في وقوعه.

وقد أورد ابو هلال العسكري شيئا من هذا في كتابه الصناعتين" واعلم أن المعاني التي تنشأ الكاتب فيها من الأمر والنهي سبيلها أن تؤكد غاية التوكيد بجهة كيفية نظم الكلام، لا بجهة كثرة اللفظ لأن حكم ما ينفذ عن السلطان فيكتبه شبيها بحكم توقيعاته، من اختصار اللفظ وتأكيد المعنى، هذا إذا كان الأمر والنهي واقعين في جملة واحدة لا يقع فيها وجوه التمثيل للأعمال، ولا يقتصر على ذلك حتى يؤكد ويكرر، لتأكد الحجة على المأمور به"[٢]، وقد ترد صيغتي الترغيب والترهيب في عدة قوالب وصيغ على غرار صيغتي **حبذا** و **بئس**، كقولك حبذا الخلق الكريم، وبئس السلوك المشين اللتين تفيدان الترغيب في الشيء والترهيب منه على التوالي، وقد

[١] البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، ص٢٠٨.
[٢] الصناعتين، ص١٥٦.

تستخدم الآيات الكريمة في تمثل هذين المعنيين والحجة بها أبلغ كآيات العذاب وآيات الثواب كقوله تعالي: **" وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابْ وَأَنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمْ "** صدق الله العظيم[١].

٦- استخدام البيان:

أ- **التشبيه:** للتشبيه أهمية كبيرة في بناء الصورة في النصوص الأدبية، فهو الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى وهو ما ذكرت فيه أداة التشبيه، وقد تحدث عن شرف قدره وأهميته اللغوية في توسيع المعنى، حيث يقول القزويني: " فاعلم أنه مما اتفق العقلاء على شرف قدره، وفخامة أمره في فن البلاغة، وأن تعقيب المعاني به يضاعف قواها في تحريك النفوس على المقصود بها مدحا كانت أو ذما او افتخارا، أو غير ذلك[٢] .

والتشبيه يزيد المعنى وضوحا ويكسبه تأكيدا، ولهذا ما أطبق جميع المتكلمين من العرب والعجم عليه، ولم يستغني أحد منهم عنه[٣].

وعن بلاغة التشبيه يقول السيد أحمد الهاشمي " تنشأ بلاغة التشبيه من أنه ينتقل بك من الشيء نفسه إلى شيء طريف يشبهه أو صورة بارعة تمثله، وكلما كان هذا الانتقال بعيدا قليل الحضور بالبال، أو ممتزجا بقليل أو كثير من الخيال، كان التشبيه أروع للنفس وأدعى إلى اعجابها واهتزازها"[٤].

---

[١] سورة المائدة، الآية ٩٨ .
[٢] الإيضاح في علوم البلاغة، ص ١٦٤.
[٣] الصناعتين، ص٢٤٣.
[٤] جواهر البلاغة في المعاني ..، ص٢٢٨.

ب- الاستعارة: ومن بين الصور البيانية المعتمدة عند الكتاب خاصة كتاب القرن الرابع، وهي الاستعارة وهي استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول عنه، والمعنى المستعمل فيه، مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي[١].

وقد فرق ابن الأثير بين الاستعارة والتشبيه في قوله" والذي عندي من ذلك أن يقال حد الاستعارة نقل المعنى من لفظ إلى لفظ لمشاركة بينهما مع طي ذكر المنقول إليه، لأنه إذا احترز فيه هذا الاحتراز اختص بالاستعارة وكان حدا لها دون التشبيه[٢].

حتى أن الجرجاني لم يكتف بالتفريق بين التشبيه والإستعارة بل وجعل لها مزية تفوق التشبيه والحقيقة في قوله " واما الاستعارة فسبب ما ترى لها من المزية والفخامة أنك إذا قولت: "رأيت أسدا" كنت قد تلطفت لما أردت إثباته له من فرط الشجاعة ، حتى جعلتها كالشيء الذي يجب له الثبوت والحصول، وكالأمر الذي نصب له دليل يقطع بوجوده، وذلك انه إذا كان أسدا فواجب أن تكون له تلك الشجاعة العظيمة، وكالمستحيل والممتنع أن يعرى عنها، وإذا صرحت بالتشبيه فقلت:" رأيت رجلا كالأسد" كنت قد أثبتها إثبات الشيء يترجح بين أن يكون وبين أن لا يكون[٣].

ج- الكناية: مظهر من مظاهر البلاغة، وغاية لا يصل إليها إلا من لطف طبعه صفت قريحته، والسر في بلاغتها أنها صور كثيرة تعطيك الحقيقة

---

[١] المرجع السابق، ص٢٣٩.
[٢] المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ص٣٦٥.
[٣] دلائل الإعجاز، ص٧٣.

مصحوبة بدليلها، والقضية وفي طيها برهانها، وهي في الاصطلاح: لفظ أريد بها لازم معناه مع جواز إرادة معناه الحقيقي حينئذ، كقولك" فلان طويل النجاد" أي طويل القامة، ولا يحتاج في ذلك إلى تأويل[١]

والكناية هي ألطف أساليب البلاغة وأدقها، وهي أبلغ من الحقيقة، كيف لا وأنها تمكن الكاتب من التعبير عن امور كثيرة يتحاشى الإفصاح بذكرها، إما احتراما للمخاطب أو للإبهام على السامعين، أو للنيل من خصمه دون أن يدع له سبيلا، أو للتنزيه عن ما ينبو الأذن[٢].

ويقول عنها عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز: " وقد أجمع الجميع على أن الكناية أبلغ من الإفصاح، والتعريض أوقع من التصريح"[٣]، ذلك أن الانسان لا يدرك المعاني إلا لإدراك دلائلها، حيث يقول عنها" اما الكناية فإن السبب في أن كان للإثبات بها مزية لا تكون للتصريح ان كل عاقل يعلم إذا رجع إلى نفسه ان اثبات الصفة بإثبات دليلها، وإيجابها بما هو شاهد في وجودها آكد وأبلغ في الدعوة من أن تجيء إليها فتثبتها هكذا ساذجا غافلا، وذلك أنك لا تدعي شاهد الصفة ودليلها إلا والأمر ظاهر معروف، بحيث لا يشك فيه ولا يظن بالمخبر التجاوز والغلط[٤].

وعن أهمية الكناية يتحدث صاحب سر الفصاحة: "ومن هذا الجنس حسن الكناية عما يجب أن يكنى عنه في الموضع الذي لا يحسن فيه التصريح، وذلك أصل من أصول الفصاحة، وشرط من شروط البلاغة، وإنما قلنا في

---

[١] الإيضاح في علوم البلاغة، ص٢٤١.
[٢] جواهر البلاغة في المعاني ..، ص٢٧٨.
[٣] دلائل الإعجاز، ص٨٠.
[٤] المرجع نفسه، ص٧٢

الموضع الذي لا يحسن فيه التصريح لأن مواضع الهزل والمجون وإيراد النوادر يليق بها ذلك ولا تكون الكناية فيها مرضية فإن لكل مقام مقالا ولكل غرض فنا وأسلوبا .

٧- استخدام البديع:

أ- السجع والازدواج: يعد السجع من خصائص الكتابة في القرن الرابع الهجري ومن أهم مميزاتها حتى ان هناك من كتاب هذا العصر يلتزمون السجع ولا يخرجوا عنه إلا فيما ندر من أمثال بديع الزمان والخوارزمي والصابي وابن دريد، وهذه الطائفة لا تترك السجع في جد ولا في هزل[١].

والسجع هو توافق الفاصلتين في الحرف الأخير وأفضله ما تساوت فقره، هذا ما جاء في جواهر البلاغة، نحو قوله تعالى" **وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى مَا ظَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى**"[٢] صدق الله العظيم .

وللسجع أهمية بلاغية كبيرة، ولا يستحسن السجع أيضا إلا إذا جاء عفوا خاليا من التكلف والتصنع، ويقول ابن الأثير " واعلم ان الذي يلزمك في تأليف الرسائل والخطب هو أن تجعلها مزدوجة فقط، ولا يلزمك فيها السجع، فإن جعلتها مسجوعة كان أحسن مالم يكن في سجعك استكراه وتنافر وتعقيد، وأكثر ما يقع ذلك في السجع"[٣].

ومنه نجد ان ابن الأثير يفضل الازدواج على السجع، أما الازدواج فهو تجانس اللفظين المتجاورين نحو **من جد وجد، من لج ولج**، وعن أهميته يتحدث صاحب الصناعتين" لا يحسن منثور الكلام ولا يخلوا حتى يكون

---

[١] النثر الفني في القرن، ص٢١٤.
[٢] سورة النجم، الآية ٢،١.
[٣] المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ص ١٥٩.

مزدوجا ولا تكاد تجد لبليغ كلاما يخلو من الازدواج ولو استغنى كلام من الازدواج لكان القرآن، لأنه في نظمه خارج عن كلام الخلق، وقد كثر الازدواج فيه حتى حصل في أوساط الآيات فضلا عن ما تزاوج به الفواصل منه"[1].

ب- الجناس: ومن ألوان البديع التي تستدعي ميل السامع والاصغاء إليه الجناس وهو أن يتفق اللفظان في النطق ويختلفان في المعنى، نحو قولك" صليت المغرب بالمغرب"، وهو نوعان: جناس تام وجناس ناقص.

والجناس لا يقل أهمية عن المحسنات التي سبقته واستخدامه يظهر مقدرة الكاتب على التلاعب بالألفاظ والتجنيس ضرب من الكلام يورد فيه كلمتان، تجانس كل منهما صاحبتها في الأخرى لفظا واشتقاقا ومعنى، وما يجانسه في تأليف الحروف دون المعنى[2].

ويسميه ابن سنان **المجانس**، وقال التناسب في ألفاظ المجانس هو أن يكون بعض الألفاظ مشتق من بعض إذا كان معناها واحد أو بمنزلة المشتق إن كان معناها مختلفا، أو توافق صيغتا اللفظتين مع اختلاف المعنى[3]. فالجناس يوضع المعنى ويظهر جرسا موسيقيا له تأثير على نفسية القارئ ويربط الكلام بعضه ببعض حيث يقول عبد القاهر "وهذه الحالة النفسية التي يحدثها الجناس عند من يخاطبه هي فائدته ووجهه الحسن، لأن هذه

---

[1] المرجع نفسه، ٢٦٠.
[2] المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ص٣٢١.
[3] عبد الله بن محمد بن سنان الخفاجي، **سر الفصاحة**، دار الكتب العلمية، لبنان ١٩٨٢، ص ١٢١.

الكلمة الجديدة والمتنكرة في زي الكلمة القديمة لما كشفت له وجهها فجأة وأدهشته وأثارت نشوته وطربه وسروره"[1].

إذن للجناس القدرة على ايهام القارئ وعلى إدخاله في حالة نفسية أرادها الكاتب من خلال رسالته، وقد أكد ابن الأثير على فضل التجنيس واهتمام أرباب الصناعة بدراسته في قوله" واعلم أن التجنيس غرة شادخة في وجه الكلام وقد تصرف العلماء من أرباب هذه الصناعة فيه فغربوا وشرقوا لا سيما المحدثين منهم، وصنف الناس فيه كتبا كثيرة وجعلوا أبوابا متعددة واختلفوا في ذلك وأدخلوا بعض تلك الأبواب في بعض[2].

كما لم يخلوا القرآن الكريم من هذا المحسن البديعي، حيث بين مكانته في ألفاظ القرآن محمد حسنين أبو موسى في كتابه **البلاغة القرآنية**، في قوله" فإذا كان الجناس من محاسن اللفظ فهو يقع في القرآن مطبوعا غير متكلف، فيحسن ويبدع لفظا ومعنى، وهو من صميم البلاغة يشترط ان يضعه عالم بجوهر الكلام يحفظ معه صحة المعنى وسداده وكان هناك تجنيسا لا يراعى فيه هذ ا الشرط فيضعه متكلفون أدعياء لا يحفظون فيه روح المعنى ولا سلامة النظم" [3].

وقد اشترط هنا عدم التكلف فيه وذلك بأن تحفظ معه صحة المعنى وسلامة النظم فلا يدرك ذلك إلا عالم باللغة.

---

[1] دلائل الإعجاز، ص١٠٨.
[2] المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ص٢٤٦ .
[3] البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، ص١٩٩.

ج- الطباق: وهو الجمع من المتضادين أي معنيين متقابلين في الجملة[١] وهذا المصطلح مأخوذ من قولهم طابقت بين الشيئين إذا جعلتهما على حذو واحد وألزقتهما ومنه طابق الفرس في جريه إذا وضع رجله موضع يده ولما كانت المطابقة الجمع بين المعنيين المتقابلين ناسب ان تؤخذ من هذا المعنى لأن الفرس وقعت رجله ويده متقابلتان في موطأ واحد[٢].

والطباق نوع من أنواع البديع ولات نحصر قيمة الأضداد اللغوية في جانب الدلالة المفردة في الكشف عن القدرة اللغوية فإنها تتعدى إلى إظهار الأبعاد النفسية المتوترة وتصويرها في أدق حالاتها فالصورة المبنية على الحركة القائمة بين المتناقضات هي ذات سعة وعمق داخلي، وذلك بما تتيح اللغة من مترادفات وتضاد وتعاكس[٣].

د- المقابلة: وهي أن يؤتى بمعنيين متوافقين او أكثر، ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب كقوله صلى الله عليه وسلم" **إِنَّكُمْ لَتُكْثِرُونَ عِنْدَ الفَزَعِ وَتَقِلُّونَ عِنْدَ الطَّمَعِ**"[٤].

ويعرفها بن سنان في قوله" هي تقابل المعاني التي توافق بينها حتى تأتي بالموافق بما يوافق وفيا لمخالف بما يخالف على الصحة[٥]، والمقابلة قد تكون بين لفظتين او اكثر حيث تكون بين الألفاظ المتضادة وكذلك المتوافقة إلا أن حسنها يظهر أكثر في التضاد.

---

[١] الإيضاح في علوم البلاغة، ص٢٥٥.
[٢] لسان العرب، مرجع سابق، ٢٦٣٨/٤
[٣] دلائل الإعجاز، ص١٠٨.
[٤] جواهر البلاغة في المعاني ..، ص٢٩٢.
[٥] سر الفصاحة، ص٢٣٤.

ويرى بعض البلاغيين ان المقابلة تدخل ضمن الطباق، ويؤكد ذلك **الخطيب القزويني"** ودخل في الطباق ما يخص باسم المقابلة وهو أن يؤثر بمعنيين متوافقين أو معاني متوافقة ثم ما يقابلهما أو يقابلها في الترتيب[١].

وتعد المقابلة من عناصر الابداع الفني، وهي قريبة جدا من الطباق في مفهومها، مع وجود خصوصية لكل منهما، فالطباق يكون بين الأضداد فقط والمقابلة تكوم بين الأضداد وغيرها، وهي إيراد الكلام ثم مقابلته بمثله في المعنى واللفظ على جهة الموافقة أو المخالفة فأما ما كان منها في المعنى فهو مقابلة الفعل بالفعل ومنها ما كان في اللفظ[٢].

ه- المشاكلة: وهي أن يذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته كقوله تعالى **" تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكْ"**[٣] صدق الله العظيم، والمعنى تعلم معلومي ولا أعلم معلومك، ولمنه سلك بالكلام طريق المشاكلة وهو من فصيح الكلام وبينه، وقيل في نفسك لقوله في نفسي[٤] .

وقد عدها حسنين من فصيح الكلام وبينه حتى انه جعلها مبنية على التشبيه في قوله " وقد يكون ذكر الشيء بلفظ المذكور في صحبته يصلح ان يكون مبنيا على التشبيه، ولكن الزمخشري يجعله من طريق المشاكلة، ثم يشير إلى ما ينطوي عليه هذا التعبير من فوائد أساسها علاقة التشبيه، وقد يطلق المزاوجة على صور المشاكلة في قوله تعالى" **وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ"**[٥] صدق الله العظيم، سم الله تعالى الفعل الأول

---

[١] الإيضاح في علوم البلاغة، ص.ص، ٢٩٦،٢٩٧.
[٢] المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ص٣٣.
[٣] سورة المائدة، ص ١١٦
[٤] البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، ص٤٨٧.
[٥] سورة النحل، ص ١٢٦

باسم الفعل الثاني للمزاوجة، وهنا يجد حسنين علاقة التشابه بين الفعل الأول والفعل الثاني لوقوعه في صحبته .

الفصل الثاني: آليات الصياغة والبناء في رسائل الصابي

المبحث الأول: آليات البناء في رسائل أبي اسحاق الصابي

المبحث الثاني: آليات الصياغة في رسائل أبي اسحاق الصابي

المبحث الأول: آليات البناء في رسائل أبي اسحاق الصابي

١- المقدمات

٢-حسن التخلص (صيغة أما بعد)

٣- المضامين

٤- الخواتيم

المبحث الأول: آليات البناء في رسائل أبي اسحاق الصابي

١- المقدمات:

لقد تميز أسلوب الصابي بما عرف أيضا في رسائله من طول ظاهر وتقديمات مبرزة وتحميدات جديدة ومتميزة، والاقتباسات المناسبة من القرآن والأحاديث النبوية والأمثال والاشعار والأسلوب المتميز في كثرة السجع والازدواج والطباق والجناس بالإضافة إلى البناء التصويري لبعض الرسائل وبخاصة التي وصفت معارك ورحلات الصيد[١].

وقد تضمنت رسائل الصابي على مبنى مثل باقي الرسائل فكانت تتكون من مقدمة وعرض وخاتمة:

أما عن المقدمات فقد تميزت بأنها مؤثرة تجذب انتباه القارئ وتدفعه إلى قراءة الرسالة باهتمام وكان حسن الاستهلال بارع الاصابة في معقل شد القارئ يدفعه إلى إكمال الرسالة حتى الخاتمة بجودة أسلوبه وفصاحته وروعة بلاغته وشدته طلاوته ففي التعازي مثلا يقول في مستهل الرسالة " أطال الله بقاء الرئيس أقدرا ترد في أوقاتها وقضايا تجري غلى غاياتها ولا يرد منها شيء عن مداه ولا يصد عن مطلبه ومنحاه.

ونجد أن سلك الصابي منهج من سبقه بالاستهلال بالتحميدات، وقد اطال فيها وأتى بما هو جديد وقد صاغاها الصابي ودبجها بأحسن الصيغ والسبك، وقد اعتمدها في أغراض عديدة من أبرزها السلطانيات، وبالرغم

[١] أبي اسحاق الصابي – درر النثر وغرر الشعر- ، ص٢١٣

من أنه ليس على ملة الاسلام إلا أنه برع في الحمدلة فقد كان مضفيا عليها صبغة فلسفية متفقهة بالعلم الإلهي .

ففي كتابه عن المطيع لله رحمه الله إلى ركن الدولة أبي علي الذي كتب إليه بخبر أسر الدمستق سنة ٣٦٢ه، يقول: **" أما بعد، فالحمد لله ذي المنة والطول، والقدرة والحول، والغلبة والصول، المنفرد بكبريائه، المنعم على أوليائه المنتقم من أعدائه، رافع الحق ومعليه، وقامع الباطل ومرديه، ومعز الدين ومديله، ومذل الكفر ومذيله، المنزل رحمته على من جاهد في طاعته.**[١].

ونلاحظ إطالة الصابي في التحميدات وإكثاره منها والتفصيل فيها، كما تدل على تشبعه بالثقافة الاسلامية، بالرغم من انه على غير دين الاسلام، وقد صاغ هذه التحميدات في أبهى الصيغ، وقد ناسبت هذه التحميدات الموضوع المطروق وهو الانتصار على الدمستق وأسره، لأن من شروط حسن الاستهلال اختيار البدايات التي تناسب الموضوع وتمهد له، كما لاءمت التحميدات الرسائل السلطانية التي لطالما لازمتها كاستهلال وفاتحة كتاب، كما رأى ذلك القلقشندي في كتابه صبح الأعشى- وقد مر علينا ذلك في الفصل الاول من البحث -، وقد طبعت التحميدات كتب الصابي وبخاصة السلطانيات التي برع فيها وعرف بها.

ونجد عبارات الدعاء بعد ذكر الألقاب في قوله: وأنت حفظ الله النعمة فيك" وقوله" وناب عز الدولة ابو منصور، مولى أمير الأمنين أمتع به عنك، حرس الله فيك النعمة، وعن شيخه معز الدولة أبي الحسين، تولاه الله

[١] المختار من رسائل الصابي ، ص٥٤.

بأوسع الرحمة" وقوله " والله يمتع أمير المؤمنين بك وبه، ويدافع عنك وعنه فقد أرقدتما طرفه بيقظكما، وأرغدتما عيشه بحفظكما، ....، ولا يخليه فيكما وفي أهليكما من نعمة يعدها الأولى من نعمه عليه، ومنحة يعتدها العظمى من منحه لديه، بلطفه وعطفه وجوده ومجده ."

ولم يتحرج من كثرة دعائه بل وقد اتبع كل لقب فيه الكثير من التوقير والتبجيل وهو في ذلك لم يخرج عن المتعارف بين الكتاب.

٢- حسن التخلص (صيغة أما بعد):

البعدية: استعمل الصابي لفظة "أما بعد" في كثير إن لم نقل في أغلب رسائله لفظة اما بعد التي تأتي بعد الحمدلة أو الدعاء، كمفتاح للولوج في صلب الموضوع إلا في بعض الرسائل كالعهود والمواثيق فقد كان يبتدؤها بلفظ " هذا" أو " كتابي" فيقول في أحدها " كتابي أطال الله بقاء مولانا الأمير"[١].

وقد ساير في هذا كتاب عصره ولم يخرج عن تقاليد الكتابة آنذاك إلا أنه كان يأتي بأجودها وأحسنها سبكا وتعبر عبارة " أما بعد " كدليل على حسن التخلص من المقدمة إلى الموضوع وربط المعاني بعضها ببعض في كتابته في عدة رسائل نذكر منها : " **أما بعد، فالحمد لله ذي المنة والطول، والقدرة والحول، والغلبة والصول**".

[١] المختار من رسائل الصابي ، ص٥١.

٣- المضامين:

يقع الغرض بين المقدمة والخاتمة ويمثل صلب الرسالة ومضمونها التي من اجله أنشأت وأرسلت للمرسل إليه، إذ يبدأ الكاتب فيه ببسط آرائه وأفكاره ويسرد موضوعه الذي من أجله كتبت الرسالة فهو المحتفى به في النص[١]، ويأتي الغرض بعد مقدمة طويلة قد ضمنها تحميدات طويلة وهو المعروف عن الصابي، ثم يختمها بعبارة **أما بعد** أو **كتابي هذا**، مثل رسالته التي كتب فيها " والحمد لله حمدا عائدا بمغابط الأولياء ومغايظ الأعداد والمزيد من مترادف العطاء ومضاعف الخباء، ووصل كتاب مولانا الملك السيد ولي النعم عضد الدولة وتاج الملة، أدام الله علو أمره، وعز نصره في معسكره بظاهر نصره"[٢].

وهنا دخل في الموضوع بعد تحميدات طويلة مناسبة لغرض الرسالة وهو النصر في الموصل وهذا في تمهيد للموضوع، كما يضمن موضوعه القرآن والأحاديث و أطايب الشعر والأمثال ومن جواهر البلاغة من معاني وبديع وبيان في قوالب وصيغ تبين براعته.

٤- الخواتيم:

يختتم الصابي عادة رسائله بالحمدلة والثناء على الخلفاء والسلاطين والأمراء والدعاء وعبارة" إن شاء الله " وتاريخ إصدار الكتاب، كما كتب **" فالحمد لله الذي هدانا لمراشدنا، ووقف بنا على السبل المنجية لنا، والمقاصد المفضية إلى رضاه البعيدة عن سطاه، والحمد لله الذي أعز**

---

[١] أحمد علي جفات، **آليات بناء الأنواع النثرية**، رسالة ماجستير منشورة، جامعة القادسية، ٢٠١٧

[٢] المختار من رسائل الصابي، ص ٦٥ .

أمير المؤمنين بالنصر، وأعطاه لواء القهر، وجعل أولياءه العالين الظاهرين، وأعداءه السافلين الهابطين، وهنأه الله هذا الفتح، ولا أخلاه من أشكال له تقفوه وتتبعه، وأمثال تتلوه وتشفعه، واصلا فيه إلى ما وصل فيه إليه من حيازة مهنئا لم يسفك فيه دم ولم ينتهك محرم ولم ينل جهد، ولم يمسس نصب أنهيت إلى أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ذلك ليضيف صنع الله فيه إلى السالف من عوارفه عنده وأياديه، وليجدد من شكره جل وعلا، ما يكون داعيا إلى الإدامة والمزيد مفضيا إلى العون والتأييد إن شاء الله وكتب يوم الجمعة لتسع ليال خلونا من شهر ربيع الآخر سنة ٣٦٣ ه". وهنا نجد أن الصابي أطال في التحميدات حتى في الخاتمة، والدعاء لعضد الدولة بما يناسب غرض الرسالة، ثم أتبعه بثناء على صنيعه، ثم ختمها بعبارة **إن شاء الله**، التي تدل كثرة استعمالها في رسائل الصابي على مجاراته لعقيدة المسلمين وتعاليم دينهم، في تعليق الأمور بمشيئة الله عز وجل، امتثالا لقوله تعالى:" **وَلَا تَقُولَنَّا لِشَيْءٍ أَنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ**"[1] صدق الله العظيم، فحسن الختام مطلوب مثل حسن الاستهلال وذلك ليترك في ذهن السامع أثرا قد ابتغاه الكاتب من وراء رسالته تلاها تاريخ إصدار الكتاب ، وهنا تظهر براعة الصابي في حسن التخلص مرة أخرى وربط المعاني بعضها ببعض بحيث لم تخرج الخاتمة عن الغرض والمقدمة .

[1] سورة الكهف، الآية ٢٣.

المبحث الثاني: آليات الصياغة في رسائل أبي اسحاق الصابي

١- الاستشهاد بالقرآن الكريم

٢- استخدام الشعر

٣- الايجاز والاطناب

٤- التقديم والتأخير

٥- الترغيب والترهيب

٦- استخدام البيان

٧- استخدام البديع

المبحث الثاني: آليات الصياغة في رسائل أبي اسحاق الصابي

١- الاستشهاد بالقرآن الكريم:

ونلاحظ في رسالته هذه الاستعانة **بآيات من القرآن الكريم** وذلك لمكانته عند المسلمين ووقع آيه في قلوبهم ولمكان فصاحتها، حيث كتب" نعمة الله أصبغها عليهم وموهبة أزلها إليهم إذ يقول جل جلاله وعظمته وكبرياؤه " **وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا"**[١]. وهنا نلاحظ استشهاده بالقرآن وكيف أن معنى الآية مناسب لما سبقها من كلام ومعزز لمعناه، ولم يكتف بذلك بل أجاد الاستعانة بجواهر القرآن فصاغ منها العبارات الجيدة السبك التي تدل على أنه صائغ ماهر فكتب " وتنادى الكفار بالويل والثبور" وهي من قوله عز وجل" **وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا"**[٢]، بالإضافة إلى الاقتباس من القرآن الكريم في قوله " وممضي حمه بلا مظاهر" ذلكم الله ربكم فادعوه مخلصين له الدين" وهنا لم يذكر ولم ينسب القول لله عز وجل مع أنه وضعه بين مزدوجين، وهذه الحالة تسمى الاقتباس.

٢- استخدام الشعر:

لقد كان الصابي إلى جانب أنه كاتب مجيد كان شاعرا متمكنا فله عدة قصائد قيلت في عدة مناسبات وفي عدة أغراض كالمدح، والهجاء والرثاء، والغزل، وغيرها .

---

[١] سورة آل عمران، الآية ١٠٣.
[٢] سورة الانشقاق، الآية ١٠.١١.

ومن الطبيعي أن يضمن الصابي رسائله بعضا من شعره أو أن يقتبس من شعر الآخرين وما جاد منه فيزيد في جمال رسائله وتأثيرها في السامعين فهو يقدم العضة فيه، ولم يغفل الصابي عن ذلك، حيث يقول الدكتور قيس المغشغش " أما في الشعر فكان إما أن يكتب هو نفسه أو يقتبس من الشعراء المبرزين، وربما يلجأ إلى فك البيت من الشعر ويستخدمه وهو في ذلك مجيد وحميد"[1]، ومثال ذلك في كتابه الذي ورد فيه **" وعبد مولانا الملك السيد الأجل المنصور عضد الدولة وتاج الملة أطال الله بقاءه يقول مرتجلا ومذكرا:**

قل للهمام المستطيل * بقدره السامي الجليل**

يذكر أبياتي التي * أنشدته قبل الرحيل**

فقد ضمنت له الذي * قد نال من راع كفيل**

لولا اتقاء البغي قد * بشرته بردى القتيل**

وهو في هذا قد عزز معاني الرسالة ففي الشعر معاني غزيرة واستعمال للخيال ما يغني عن قولها نثرا فتكون في الشعر أبلغ وألفاظها أفصح فيقبض على المعنى ويعطيه قالبا يستسيغه القاصي والداني .

٣- الإيجاز والإطناب:

ومن الأساليب البلاغية المستعملة في هذه الرسالة **الإطناب**، حيث انه جاء بالمعاني مجملة ثم فصل فيها بغرض بيان المعنى وتوضيحه للقارئ فكتب " إخوانا في ذات الله متوازرين، وأقرانا في السعي لرضاه متظافرين

[1] أبي اسحاق الصابي – درر النثر وغرر الشعر - ، ص٢١٩.

يرمون أعداءهم عن يد وساعد، ويرصدون لها إرصاد رجل واحد"، فهو فصل كيف تكون الاخوة والصداقة والاشتراك في الأمور ليكون بيان المعنى أوضح ووصوله إلى الأذهان أسرع.

٤- التقديم والتأخير:

كما استعمل الصابي في هذه الرسالة من الأساليب البلاغية **التقديم** في كثير من المواضع نذكر منها ما كتبه " فأصبح الناس على الإتلاف والتعاطف عاكفين وعن التهارج والاختلاف عازفين"، وذلك أضفى عليها جرسا موسيقيا ولطافة في إيصال المعنى، فهنا أخر المضاف عن المضاف إليه وذلك لبيان حال ما وصل إليه الناس،

وقوله " فرايات أمير المؤمنين أين توجهتم بها منصورة وجيوشها أنى صرفتموها ظافرة موفورة "، وهنا نجد اهتماما بأمر المتقدم لعلو شأنه (رايات أمير المؤمنين)، فقدم المفعول به على الفعل والفاعل، وبالضرورة يأتي تأخير الفعل والفاعل عن المفعول به.

٥- الترغيب والترهيب:

كما وردت صيغتا **الترغيب والترهيب** في نسخة الرسالة الأولى في كتاب رسائل الصابي لشكيب أرسلان فيما كتبه الصابي عند فتح بغداد وانهزام المماليك عنها ووصف الخلاف إلى الأمير ركن الدولة، حيث كتب بصيغتي الترغيب والترهيب، ووردت في " فيهن النعم الصوابغ والنقم الدوامغ، فأما النعم فيؤتيها عباده أجمعين بادية، ثم يجتذبها الشاكرين منهم عائدة، واما النقم فلا تقع سلفا وابتداء، لكن قصاصا وجزاء، بعد إمهال وإنظار وتحذير وإنذار، فإذا حلت بالقوم الظالمين فق طوي في إنائها صنع

للآخرين معتبرين، فلا يخلو أهل الطاعة من الثبات والاستبصار، وأهل المعصية من الارتداع والازدجار وهنا بين في أسلوب ذكي ما يحل بمن يعصي السلطان ويخرج عن مشورته وأوامره وأن عليه إن كان مخطئا الارتداع والتراجع، وإن هم بفعل فعلته عليه الاعتبار، وكيف ختم قوله بحكمة تبين أن صفات أهل الطاعة الاستبصار وأهل المعصية الارتداع والرجوع عن الخطأ، وفي قوله: **"فإن أحق النعم بأن يلقي ضيفها العصى وتستقر بها النوى، ويستوطن عاكفا، ويطمئن محالفا، نعمة قرنت بالشكر، وجنبت الكفر، وتلقيت بالارتباط والاستدانة، وتنوولت بالتأنيس والاستمالة، وصادفت كفؤا مطيقا لحملها، ووواليا حقيقا بمثلها، وناهضا مستقلا بأعبائها "**، ثم أردف ذلك بقوله تعالي: **"...وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللهَ غَفُورٌ شَكُورٌ "** صدق الله العظيم[1]، ثم تابع قائلا: **" وإن أخلقها بأن يأبى زورها المقام، وينبو عن الدوام، وينعب غرابه بالزيال، وتحدي ركائبه بالانتقال، نعمة وقعت عند مسيء لجوارها، جاهل بمقدارها، عيي بحراستها، مليء بإضاعتها، فاتخذها أكبر أعوانه على كيد موليها، واذ أحصن حنته على حرب مسديها غافلا عن عادة الله الجارية، بنزعها عن من سلك موحش سبيلها"**[2]، وعلل قوله بآية من الذكر الحكيم: **" ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدْ "**[3] صدق الله العظيم. وهنا إشارة واضحة للترغيب بحفظ النعمة وشكرها وكسب رضى السلطان، والبعد عن سخطه وقد علل ذلك بحجة داحضة من القرآن

[1] سورة الشورى، الآية ٢١ .
[2] المختار من رسائل الصابي، ص٣٤ .
[3] سورة الأنفال، الآية ٥٢.

لردع ذوي النفوس الضعيفة أو من ستسول له نفسه شق عصى الطاعة عن السلطان، أو التلاعب بأوامره.

٦- استخدام البيان:

أ- التشبيه: لقد استعمل الصابي التشبيه لما فيه من اتساع المعاني وقوة تأثيرها على ذهن السامع لقدرته على ايهامه واقناعه بالغرض المنشود من الرسالة، وقد برع الصابي في ذلك أيم براعة، بينت قدرته على امتطاء صهوة البلاغة والامساك بتلابيب البيان، فمثلا في قوله: **" وأخلصت كما يخلص العبد الضارب بمعلى قدحه الفائز بوافر قسطه في الدعاء له"**[١].

وقد شبه إخلاصه بإخلاص العبد عندما يقابله السيد بالسخاء ويقابله هو بالدعاء والفرحة العارمة، وهنا تشبيه قد ظهرت جميع أطرافه، وهو عندما يشبه فرحته بفرحة هذا العبد فهو يصف في ذلك بدقة ووضوح عن مداها ومنتهاها، وفي قوله **" برز بروز المُخالف المُكاشف، وتجرَّد تجرد المُواقِع المُوافِق"**[٢]، وهنا تشبيه قد حذفت فيه الأداة التي قد تعبر **بالكاف** أو **مثل** أو ما يماثلهما، وهذا تشبيه بليغ عن مدى تطابق المشبهين، وهنا تأثيره البلاغي أوقع وأوضح في الأذهان وهذا لبيان حال المشبه بدقة متناهية، وفي قولة: **" وثب عليه وثبة السرحان في ثلة الضان "**، نجد هنا تشبيه تمثيلي حيث تعددت فيه وجوه الشبه، حيث مثل في صورة متناهية الدقة عن قمة الغدر الذي تعرض له، وهنا تبرز براعة ومخيلة الصابي الفذة .

---

[١] المختار من رسائل الصابي، ص٧١.
[٢] المرجع نفسه، ص ٧٥.

ب- الاستعارة: كان للاستعارة حظ موفر في رسائل الصابي، حيث نجدها مثلا في عبارة " **فخطبوا الصلح والوصل** "[1] وهذا على سبيل الاستعارة المكنية، حيث شبه الصلح والوصل بالمرأة، فأبقى على المشبه وحذف المشبه به وأبقى على لازم من لوازمه (الخطبة) على سبيل الاستعارة المكنية، فلفظ الخطبة هنا يدل على مدى الرغبة الجامحة للرعية في الصلح والوصل مع السلطان وانتقاؤه لهذا اللفظ دليل على حنكته واجادته في اختيار وانتقاء الألفاظ وحسن نظمها، وفي قوله " **مستخلصا نخائل صدورهم بالبسط والإدناء، مستشحذا أبصار قلوبهم بالإكرام والاحتفاء** "[2]، ففي الجزء الأول من العبارة، شبه السرائر الطيبة بالعسل أو الزيت الذي يتم استخلاصه من مصادره، وفي العبارة الثانية شبه القلوب بالإنسان وحذف الأخير وأبقى على صفة من صفاته، على سبيل الاستعارة المكنية، وهذا سعيا من الصابي لتجسيد المعنى وتوكيده، وهذا لدرايته تمام الدراية أن الصورة البيانية (الاستعارة) أقوى وأبلغ في ايصال المعنى .

ج- الكناية: للكناية حظ وافر من رسائل الصابي لأثرها البلاغي البليغ، فهي تغني عن التصريح في مواقف يحتاج فيها الكاتب إلى ذلك في قوله:" **وهنأ الله مولانا الملك السيد ما وهب الله له ولخدمه من الظفر بالنواصي الطاغية الباغية**"[3]، وهنا كناية عن نسبة بحيث يصف كيفية الظفر بالطغاة وتصوير إذلالهم من خلال الظفر بالنواصي، ومن خلال قوله :" **وأدناه من الجهالة والضلالة** "[4] وهذه كناية عن صفة وقد بين انه كان مؤمنا وقربه الله بأفعاله من الجهالة والضلالة، فهو اتى بمعنى مصحوب بدليله

[1] المختار من رسائل الصابي، ص٨١ .
[2] المرجع نفسه، ص، ٨١.
[3] المرجع نفسه، ص٧٨ .
[1] المختار من رسائل الصابي، ص٢٤ .

في إيجاز دون تصريح، وقوله " **وأن صاحب خرسان عاد إلى يد مولانا عضد الدولة** "[1]، وهذه كناية أيضا عن موصوف بحيث يصف عودة صاحب خرسان إلى طاعة عضد الدولة، ولكن فضل عدم التصريح لئلا يكون فيه إحراج وإذلال لصاحب خرسان .

٧- استخدام البديع:

أ- السجع: يعد السجع من أبرز ما تميزت به رسائل الصابي في الكتابة، حتى أنه يعد احد الدعائم الأساسية في كتاباته، وقد تميز الصابي بسجعه بما جعله يغاير الآخرين أمثال **البديع** و**الصاحب** و**الخوارزمي**، من حيث تقصير السجعات وضغطها وسقلها وانتقاء كلماتها برنة موسيقية تدخل للنفس فتستقر ولا تنسى، كما كان السجع في كتابات الصابي يأخذ أشكالا متعددة، منها في أزواج الفقر في التطابق بحرف أو حرفين، وقد تطول الفقر أو تقصر، كما في قوله: " **من أصل راسخ وفرع شامخ، وحلم راجح، وقدر صالح، وأدب جزل، ومنطق فصل وقريحة ثاقبة، ودراية صائبة، ونفس سامية، وكف هانية** "[2]، **وربما تحملت الفقرة سجعتان، ومثال ذلك " لِلّه تعالى أقدار ترد في أوقاتها، وقضايا تجري إلى غاياتها، لا يرد شيء منها عن شأوه ومداه، ولا يصد دون مبلغه ومنحاه، فهي كالسهام التي لا تثبت في الأغراض، ولا ترجع بالاعتراض** "[3]، نلاحظ هنا أن الصابي استعمل السجع بأنواعه فهو بذلك أضفى جرسا موسيقيا على رسائله في أوقع في النفوس وأقرب إلى القلوب وأطرب إلى الآذان، كما نلاحظ أيضا أن سجعه لم يرد متكلفا بل جاء عفوا محببا، ويرجع

[2] المرجع نفسه، ص٨٢ .
[3] المرجع نفسه، ص٢٩٠ .
[1] المختار من رسائل الصابي، ص٢٩١.

بعض الناقدين كثرة سجعه هذا إلى عجمة ولّاته آنذاك الذين كانوا يستحسنون هذا النوع من الكتابة .

ب- الجناس: زين الصابي رسائله باستعمال الجناس كقوله **: " وحصل له في ذلك من جزيل الأجر، وجميل الذكر، وجليل الفخر، وأريج النشر، مالا تزال الرواة تدرسه ، والتواريخ تحرسه "**[1]، وهنا تظهر مقدرة الصابي في التلاعب بالألفاظ والتفنن في إضفاء أنواع من الزخرفة اللفظية فهي تضفي نوعا من الموسيقى التي تشد السامع إليها و تثير حيرته من طريقة نظم الألفاظ المتشابهة في الحروف والمختلفة في المعنى، فكلمات **جزيل، جميل، جليل، أريج،** كلمات ليست حتى من حقل دلالي واحد، إلا أنها متشابهة في الحروف مع اختلاف طفيف، وهذا ما يثبت في قوله أيضا **: " صحة سريرته، واستقامة سريرته " وفي قوله أيضا: " تقطيع للأرحام، وسفك للدماء الحرام "**[2] .

ج- الطباق: إن من بلاغة الكلام وفصاحته توضيح لفظه بما يضاده فإنه يزيد في حسن الكلام وطلاوة لفظه، ولم يخفى على الصابي استعمال هذا المحسن في كتاباته، فنجده قد أسهب في استعماله إلا أنه جاء بشكل يدل على براعة وإجادة الاستعمال، فزاد رسائله رونقا ووضوحا للمعنى، فيقول **" : فأصلح ذات البين بعد فسادها وأخمد الفتن بعد تلهبها واتقادها "**[3]، فنجد لفظي **أصلح** ضد **فسادها** و **أخمد** ضد **تلهبها**، وهنا الاضطراب النفسي المعبر عنه في الجملة فالتضاد عادة يعبر عن حالة نفسية مضطربة، وفي قوله : " لا يُقدِمون على تورط غرة ولا يحجمون عن

---

[2] المرجع نفسه، ص ٩٠ .
[3] المرجع نفسه، ص ٢٤ .
[1] المختار من رسائل الصابي، ص ٧٢ .

انتهاز فرصة "، فنجد هنا كلمتي **لا يُقدِمون ولا يحجمون** وهو تصوير في أدق حالاته بحيث نجدها صورة قائمة على الحركة وهذا كما رأى الجرجاني أن الصورة القائمة على الحركة هي ذات سعة وعمق داخلي .

د- المقابلة: من خلال اطلاعنا على رسائل الصابي وجدنا أنه استعمل المقابلة، وذلك لإضفائها رونقا في الكلام يرتاح لها السامع أو القارئ كقوله: **" الداعية إلى الاختلاف والاتفاق، المزيلة للخلاف والشقاق "**، فهذا التقابل بين الجملتين وخاصة في تضادهما نجد أنهما زادا حسنا بالإضافة إلى أن هذا يشد انتباه القارئ، وفي قوله: **" وأعد لمحسنهم جنة وثوابا، ولمسيئهم نارا وعقابا "**، نجد أن هذه العبارة زادت المعنى توضيحا وأضفت ما يشد القارئ، فالمتقابلات أقرب تخاطرا إلى الأذهان من المتشابهات، فإذا ذكر الشيء استوجب استحضار ضده، وهذا ما أدركه الصابي جيدا، لإيصال المعاني المرادة والتي من بينها الوعظ، الترغيب، الترهيب،.... .

خاتمة

من خلال اطلاعنا و دراستنا لآليات الصياغة والبناء في فن الرسائل وقفنا على عدة نقاط أساسية تتعلق بهذا الفن، حيث وجدنا كما ذكرنا آنفا أن العصر العباسي يعد العصر الذهبي لفن الرسائل حيث ازدهر فيه هذا النوع الأدبي وشهد رواجا وأصبح له قواعد وروادا، كان من أبرزهم من تناولنا بعض رسائله بالتحليل أبي اسحاق الصابي.

وبعد الاطلاع على بعض المراجع التي تناولت سيرة وآثار الصابي وجدنا أن الجميع يثني عليه ويشهد له بالتفوق والنبوغ في الكتابة، ومن الكتاب الذين سارو على هذا النهج بن الأثير، القلقشندي، شيخ البلاغيين عبد القاهر الجرجاني الأمير شكيب أرسلان وغيرهم من النقاد .

بعد تحليل بعض رسائل أبي اسحاق الصابي تمكنا من تسجيل عدة نتائج، منها ما يخص المستوى البنائي ومنها ما يخص المستوى الصياغي وجاءت كالآتي:

١- **النتائج الخاصة بالمستوى البنائي :** اعتمد ابي اسحق تقديم رسائله بهذه الصيغ ..حتى يجعل المتلقي يتأثر مباشرة خاصة وان رسائله كانت بين الامراء والوزراء في عصره .

- قدمها بهذه الصيغ لان النفوس هذبت وصقلت بكل ما يتصل بالله سبحانه وتعالى من توجيه ودعوة وأمر .

- أن هذه الصيغ وكأنها مرتبطة من بدايتها الى نهايتها .فارتباط الحمد بالدعاء . هو ارتباط المسلم بالمنهج الاسلامي الصالح .فمتى كان الدعاء كانت نتائجه الحمد والشكر

- لقد أحسن الصابي في تقنية توظيف هذه الآليات ..بحيث كانت المقدمات تشد انتباه القارئ اليها ..وتلفته بإحساس وجداني يجمع بين تجارب الانسان العقلية وبين احساسه الانساني الديني .

- في المقدمات البنائية، نجده يركز على المستوى الفني الابداعي والمستوى الدلالي ، فجمع بين تقنيتين الاولى حسن اختيار الاساليب عبر جمل قصيرة دقيقة تجعل المتلقي يسلم بالنتائج من بداية الكلام .لأن الكاتب يرغبه بضرب المثل بالأمم السابقة ..بحيث يربط بين المقدمات والنتائج عبر هذه الصيغ المختلفة التي اشرنا الى بعضها .لان المقام لم يسمح بذلك لاتساع المقال .

- وجدنا أن الصابي كان في موضوعيا، فبالرغم من أنه ليس على دين الاسلام، إلا أنه كان مجيدا في التحميدات مثنيا على الله ثناءًا أجاده أهل العلم من المسلمين. كما نلاحظ أنه أضاف عليها صبغة فلسفية تبين مدى تمكنه العلمي واطلاعه . حيث وجدنا على سبيل المثال لا الحصر أنه استعمل التحميدات بل وأكثر منها وفصَّل فيها، مما يدل على أن الرجل كان متشبعا بالثقافة الاسلامية، كما أنه لم يكن يتحدث عن نفسه كثيرا بل كان موضوعيا يمتثل لأوامر السلاطين لكسب ودهم والتقرب منهم .

- أما المضامين وجدنا أن الصابي يكثر من استعمال السجع إلا أنه لم يؤخذ عليه، بل سارت رسائله مجبولة بطبع سلس يقرب من العفوية في نثر الجاحظ، ويذكر بعض النقاد أن جمع الصابي لميزتي البديع في الكلام مع الطبع المناسب البعيد عن التكلف يسجل له تفوقا أدى إلى علو شان وارتقاء منزلة حتى صار أوحد الدنيا في إنشاء الرسائل.

- بالنسبة للخواتيم فإن الصابي أحسن خواتم رسائله، ذلك لأنه ختمها بما يناسب موضوع الرسالة ومقام المتلقي بالثناء على السلاطين والدعاء لهم، وقد أطنب في ذلك سعيا للتقرب إليهم، وقد نال فعلا ما أراده.

٢- النتائج الخاصة بالمستوى الصياغي : يمكننا أن نستخلص بعض النتائج التي تجلى من خلالها النص أو الخطاب عند أبي اسحق الصابي وجاءت كالآتي:

- الاستشهاد بالقرآن الكريم : لقد أحسن توظيف الصيغة الفنية عندما جعل القرآن الكريم، بحيث جاءت الآيات طبقا لمراده من الغرض المقصود دون إطالة أو إقحام للنص القرآني أحيانا، فجاء بشرى أو نذيرا ..أو إبانة عن حقيقة كونية ثابتة، ومن عجيب ما وجدناه إكثاره الاستشهاد بالقرآن الكريم ، حتى أنه برع في ذلك على الرغم من كونه على ديانة غير الإسلام (الصابئة)، ويمكن تفسير إكثاره من تضمين معاني الآيات في رسائله من باب التقرب أو التزلف أو بيان القدرة والتحكم في اللغة مجاراة لمحيطه الإسلامي، حيث تفوق على أقرانه من الكتاب المسلمين أنفسهم .

- استعان بالشعر فكان يصيغ عناصر فكره ليستدل بما جرى من قضايا مختلفة عبر لفت النظر الى المآل والمقصد ..في كثير من المواقف ..وقد جاء بالشعر فأحسن الصياغة لينسجم وعيه الثقافي بقضاياه الاجتماعية والفكرية والسياسية والابداعية ، في سبك ونظام رائع جميل ، دون أن يشوه معمار نصه (رسائله) الأدبي ... .

- حاول أن يقدم لنا مواطن الإيجاز، عند ما يقتضي الأمر ذلك ، ولا يحتاج إلى تفسير وشرح ، لأن الموضوع يقتصر على قضايا واضحة بينة خاصة عندما يتكلم عن الأمراء في دولته فلا يكثر من الإطراء والمدح وإنما يقدم الدعاء والتبجيل ، ثم يطرح الأمر ويشرح القضية .وبهذا يجعل القارئ ينتقل من أمر إلى أمر دون الملل أو ما يجده من الثقل في القراءة . ومع ذلك فيلجأ إلى الإطناب في بعض المواقف وذلك ما تستدعيه المواقف من تأكيد وإثبات لبعض الحقائق الاجتماعية أو الانسانية أو السياسية ، ولا يكون ذلك إلا بقدر تصنعه قدرة الكاتب على أن يجعل من الكتابة صناعة فنية إبداعية. بخلاف ما يتورط فيه الكثير من الكتاب ، بحيث تتشوه صنعتهم وتنحرف عن اللياقة الفنية الإبداعية .

وبالتالي فقد وجدنا أن الرجل كما يرى بعضهم أنه نجح في ناحيتين أما الأولى فهي التفوق من الناحية اللغوية التي برزت في صورة فنية زاخرة وسعت ضروب التعابير والأخيِلة والصور في الموضوعات الكثيرة التي جرى فيها قلمه فإننا نكاد نجده يكرر معنى أو يعيد لفظا إلا في أحوال قليلة تغتفر لكاتب متفوق، ومع أنه ملتزم السجع إلا أنه كان سهلا مقبولا غير متكلف، أما الثانية فهي سعة حيلته في التوفيق بين الخلفاء والأمراء مع عسر ذلك لأنه في عصر سادت فيه الفوضى والانقلابات.

- أما عن الإطناب فإن الصابي كانت تتميز رسائله بالطول الظاهر وخاصة في الرسائل التي تصف المعارك، بحيث تأخذ شكلا توثيقيا لها ويرجع الإطناب أيضا إلى تكرار بعض العبارات في صيغ مختلفة بحيث لا يعاب عنه ذلك.

- أما عن الترغيب والترهيب فقد تعدد قوالبه في رسائل الصابي وهذا بطبيعة الحال لمواءمة الغرض المنشود، خاصة في الرسائل السلطانية يكتب فيها على لسان السلطان ترغيبه أو ترهيبه للمتلقي .

- أما فيما يخص البيان والبديع فقد أبدع الصابي ونمق وأحسن تدبيج رسائله بألوان البيان والبديع، مما أضفى عليها جرسا موسيقيا شدّ أذن السامع ووقعت في قلبه موقعا حسنا حتى يكاد يحفظها، مثل ما وجدناه من استعارة وكناية وسجع وجناس والتي ساهمت كلها في إضفاء صبغة خاصة على رسائل الصابي ميزته عن كثير من الكتاب، وقد كان الصابي دقيقا في اختيار ألفاظه حتى يتطابق اللفظ مع المعنى كما ذكرنا آنفا وهذه هي أبرز سمات البلاغة .

- يستعمل التشبيه والاستعارة والكناية، فينتقل النص من الشفافية البسيطة إلى الأدبية المكثفة ، فكل هذه المسائل البلاغية تتكاثف لتؤثر في الصياغة الادبية وتحمل صورا فنية زاخرة تجعل من الخطاب تعبير آخر عن حقيقة الإبداع والفن بحيث جاءت صوره كالومض في قصرها لقصر عبارات الرسالة، لكنها تحل بعدا فنيا في ما تحمله من حس ذوقي راقي يحفل بتنوع الصور التي تزخر بها شاعريته الفذة وتجربته الفنية الخالصة .

وكخاتمة لهذا العمل يمكننا القول أن الصابي قد تحكم وتصرف وأتى بالعجب في اللغة، حتى صارت فقره أمضى سلاحا يهابه المقابل، وقد تفرد في صناعة الرسائل حتى صار من روادها في عصره، وخطا سار على نهجه كل من طلب هذا الفن .

الملاحق

الملحق ١: التعريف بأبي اسحق الصابي:

١- أصله ونسبه:

أبو اسحاق إبراهيم بن هلال بن زهرون بن حيون الحراني[١]، وقد تلقب بالصابي تبعا للديانة الصابية، وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم في ثلاث آيات، وتلقب بهذا اللقب بالرغم من معرفته بأنه يعيش في محيط إسلامي وفي عاصمة الخلافة الإسلامية (بغداد)، بالرغم من ذلك فقد كان رمزا للتسامح الديني في قبول الآخر ومثالا لحسن الخلق والعبارة الطيبة إلا أنه لا يمنع انه عان من سعي البعض للنيل منه، وفي كل مرة كان محط اهتمام المنصفين حتى قال عنه أبو منصور الثعالبي: " هو اوحد العراق في البلاغة ومن به تثنى الخناصر في الكتابة وتتفق الشهادات له بالبلوغ الغاية من البراعة في الصناعة[٢].

كان جده وأبوه طبيبين وقد اشتغل أبوه وأبناؤه وأحفاده فيما بعد في كتابة التاريخ، إلا أنه لم يذكر عن التأريخ لحياة الأسرة إلا النزر اليسير، حاول أبوه في أول أمره أن يعلمه صنعة أسلافه وهي الطب، إلا أنه كان رافضا لها في حين كان ميلا إلى قراءة كتب الأدب إلى ان جاء يوم من الأيام أن حرر لأبيه كتبا قد أراد ان يبعثه لأحد الوزراء بخرسان في شؤون الطب، فأعجب به وكاد يطير فرحا من بلاغة ابنه حينها أذن له في ان يكون كاتبا، ثم اتصل عمه بالوزير المهلبي ليكون له كاتبا حتى تقدم على الكتاب الذين عاصروه بنباهته وحسن التزامه مما أكسبه مكانة عند الوزير المهلبي فقلده بعدها عدة مناصب حتى قلده ديوان الرسائل والمظالم وبعد

---

[١] قيس مغشغش السعدي، الصابي**– درر النثر وغرر الشعر-**، مطبوعات الثقافة أربيل٢٠٠٩،ص١٥

[٢] الأمير شكيب أرسلان، **المختار من رسائل الصابي** ط١، دار التقدمية، لبنان ٢٠١٠، ص١٥

ذلك أصبح صديق مقربا له، ثم تقلد أعلى منصبا في دار الإنشاء وحين آلت الأمور بيد عضد الدولة ٣٦٧-٣٧٢ ه ظل الصابي في بداية الأمر صاحب ديوان الإنشاء حتى تغير عليه الامير البويهي بسبب الكتابات التي صدرت عنه أيام كان كاتبا للأمير الذي سبقه **عز الدولة**، ثم زج به في السجن وخرج منها في أواخر أيام عضد الدولة منكوبا مهتوكا، ثم قربه ابن عضد الدولة صمصام الدولة الذي أعاده إلى وظيفته في رئاسة ديوان الإنشاء وقد عادت إليه قيمته وسرور نفسه وهذا ما تظهره بعض مقطوعات المدح والشكر والثناء التي كتبها لصمصام الدولة.

كما خدم الصابي فيعهد شرف الدولة وهو بن عضد الدولة أيضا وقد تنازل أخوه صمصام الدولة له عن الحكم ويذكر ان أبو اسحاق كان قد كتب عهد الاتفاق بينهما، وظل الصابي في خدمة الدولة البويهية حتى سن متقدمة وقد أنهكته الأمراض بخاصة في مفاصله فلم يعد قادرا على الكتابة والحركة وظل الصابي هكذا حتى وفاته في شهر شوال ٣٨٤ ه[١].

٢- مكانته الأدبية:

يعد الصابي أديبا لامعا وكاتبا مميزا بأخلاق عالية أثرت كتاباته خزانة الأدب العربي بثروة لغوية كثيرة ظلت وتظل مجالا للدارسين وظل أسلوبه نهجا اتبعه كل من رام الكتابة حيث يقول عنه الدكتور قيس المغشغش السعدي في كتابه درر الشعر وغرر النثر " وقد تمكن الصابي بما ملك من مقدرة ادبية متقدمة وفن بصياغة الكلام ومعرفة واسعة بالعلوم الأخرى، وشخصية محببة تم تربيتها على فضائل الأخلاق ومحاسن العشرة ان

[١] الصابي – درر النثر وغرر الشعر - ، ص ١٧٦.

يجمع حوله العديد من المحببين وان يكثر معارف وتستطاب مجالسته ويستحب مجلسه وأن يكون جلهم من أهل الأدب والسياسة والأمراء والقادة والكتاب والقضاة فهو يصوم شهر رمضان مع المسلمين مسايرة وحرصا على أن يكون قريبا إلى خصائص الدين في أبرز الشعائر دون أن يجعل من هذه النواحي حالات للتميز بل للألفة والعشرة والخدمة الصحيحة"[١].

كما عرض في كتابه اهم الكتب التي تحدثت عن الصابي وفضله في صناعة الكتابة مثل الصاحب بن عباد الذي يقول " كتاب الدنيا وبلغاء العصر أربعة: الأستاذ ابن العميد، وأبو القاسم عبد العزيز بن يوسف، وأبو اسحاق الصابي، ولو شئت لذكرت الرابعة يعني نفسه".

كما نجد الثعالبي يذكره في يتيمة الدهر ما يغني عن التعرف على مكانة الصابي فيقول" هو ابراهيم بن هلال بن زهرون الصابي الحراني أوحد العراق بالبلاغة ومن به تثنى الخناصر في الكتابة وتتفق الشهادات له ببلوغ الغاية من البراعة والصناعة، وكان قد خنق التسعين في خدمة الخلفاء وخلافة الوزراء، وتقلد الأعمال الجلائل مع ديوان الرسائل.

كما أشاد ابن خلدون بكتابات الصابي وقد ذكره في كتابه المقدمة في قوله " ...حتى نبغ إبراهيم بن هلال الصابي كاتب بني بويه، فتعاطى الصنعة والتقفية وأتى بذلك بالعجب، وعاب الناس عليه كلفه بذلك في المخاطبات السلطانية وإنما حمله عليه ما كان في ملوكه من العجمة والبعد عن صولة الخلافة المتفقة في سوق البلاغة[٢] .

---

[١] الصابي درر النثر وغرر الشعر- ، ص٩٣.
[٢] المرجع نفسه، ص٩٤.

لم يكن الصابي كاتبا بليغا فقط وإنما كان عالما رياضيا طبيبا وقال عنه القفطي، حين ترجم له في كتابه أخبار العلماء " وكان بليغا في صناعتي النظم والنثر وله يد طولى في علم الرياضة وخصوصا الهندسة والهيئة...، وتقدم بالرسائل والبلاغة". وقد ذكر ابن الأثير في كتابه المثل السائر التوجه النقدي للصابي وغروره واعتداده بنفسه، وقال عنه ياقوت الحموي في كتابه معجم الأدباء" هو أوحد الدنيا في إنشاء الرسائل والاشتمال على جهة الفضائل ..تقلد أعمالا جليلة وحسن ألفاظه وقد أغنتنا شهرتها عن صفاتها.

٣- كتبه وآثاره:

برع الصابي وكتب في جميع الميادين من شعر ونثر وشتى العلوم إلا أن الأخيرة نادرة الوجود، وقد ذكر لنا الدكتور قيس المغشغش بعض من تلك المؤلفات الخاصة بالأدب ومنها:

أ - ديوان الشعر: ويعد هذ الديوان في حكم المفقود، ولم يتم العثور عليه لحد الآن على الرغم من المتابعات، حيث أن ما فاضت به قريحة الصابي على مدى عمره الممتد طويلا لابد وقد اثمر ديوان شعر ضخم، ذلك ان المبثوث من شعره في الكتب كثير، وعليه وجب التأكد من ان الشعر الذي ضاع كثير بما قد يشكل ديوانا.

ب - كتاب الرسائل: يشار إلى انه مؤلف ضخم يقع في نحو ألف صفحة، ويضم الكتاب أهم آثار الصابي وأشهر الرسائل التي كتبها في نفسه وعن الآخرين بحكم طبيعة عمله، وقد زادت نفاسة الكتاب من اقبال الكتاب والدارسين عليه للاستفادة من بلاغة الصابي الأمر الذي حفظه من الضياع

وهو على جزئين أحدهما محفوظ في الخزانة الوطنية بباريس والآخر بجامعة لندن.

ج - كتاب اخبار أهله: وهذا الكتاب مفقود ولم يتم الوقوف عليه ولا النقل عنه، وعلى الرغم من إشارة العديد من المراجع إلى نسبة الكتاب إلى الصابي، فإن البعض يرى نسبته إلى **سنان بن ثابت،** وفي كل الأحوال فإن فقد هذا الكتاب يعد حقا خسارة كبيرة، ذلك أن من خلاله كان يمكن الوقوف ربما بشكل تفصيلي على عقيدة الصابيين .

د - كتاب التاجي في أخبار الدولة الديلمية: وهذا الكتاب التي اشتهر اسمها في ميدان التاريخ ذلك ان الذي كلف بوضعه هو ملك آل بويه عضد الدولة، وأنه جاء مساومة مع أبي اسحاق في العفو عنه فهو من وضع أكبر أدباء القرن الرابع هجري على كثرة ما ضم منهم، وقد قال فيه الصابي المقولة الشهيرة" أبا طبل أنمقها وأكاذيب ألفقها"، وهي المقولة التي كادت تؤدي به إلى مقتله تحت أرجل الفيلة لولا العناية الربانية.. ويعد هذا الكتاب في حكم المفقود إذ لم يصل منه إلا قطعة صغيرة في نحو خمسين صفحة من الحجم الصغير بعنوان " المنتزع من كتاب التاجي[1].

أما في الشعر فقد كان الصابي شاعرا وقد أجاد فيه نظرا للعديد من المصادر التي نوهت بذلك مثل ما ألفه الشريف الرضى، الثعالبي في يتيمة الدهر، ومعجم الأدباء لياقوت الحموي.

[1] الصابي – درر النثر وغرر الشعر-، ص ١٤١.

أما عن سمات شعره فلم يكن متكلفا ولا غامضا ولا صعب الفهم، وكان يعتمد على الطرح المباشر للفكرة (الغرض)، أما لغته فكانت كثيرة المعاني، ونظم في كثير من الأغراض مثل:

- **الغزل:** صارت بعض أشعاره أغاني يترددها الغواني، **وقد تشبب** بالغلمان، وجاء في شعره بعض الإباحية. ونذكر فيما يلي ما جاء في وصف الحبيب:

يا قمرا كالخشن في نظرته * وكالقضيب اللدن في خطرته**

خلتك صيدا صار في قبضتي * فصرت من صيدي في قبضته**

- **الفخر:**

وقد علم السلطان أني لسانه * وكاتبه الكافي السديد الموفق**

أوزره فيها عري وأمده * برأي يريه الشمس والليل أغسق**

- **المدح:** وقد جاء في ذلك حتى خطب ود الملوك من أمثال سيف الدولة الحمداني، والوزراء **كالمهلبي،** الكبار كالشريف الرضي **والشعراء** كالببغاء، ومما جاء في مدح سيف الدولة حيث حكى الصابي، قال : طلب مني رسول سيف الدولة بن حمدان عند قدومه الحضرة شيئا من شعري، وذكر أن صاحبه (يقصد سيف الدولة) رسم له ذلك، فدافعته أياما، ثم ألح عليا وقت الخروج فأعطيته هذه الثلاث أبيات:

إن كنت خنتك في المودة ساعة * فذممت لسيف الدولة محمودا**

وزعمت أن له شريكا في الملا * وجحدته في فضله التوحيدا**

قسما لو أني حالف بغموسها * لغريم دين ما أراد مزيدا**

وقد اضطر الصابي غلى مدح عضد الدولة حين سجنه أملا في أن يعفو وعنه وقد بذل في ذلك كل مسعى وأتى بأ بلغ الشعر لأن فيه وسيلته التي يمكن أن تنقذه من القيد الذي أدماه والحال الذي تهتكت فيه أوصاله وذهبت به آماله. وقصيدته اللامية هي التي ساهمت في إخراجه من السجن حين عرضت على عضد الدولة، لقد قالها بعد أن عرف بعودة عضد الدولة من زيارته لمشهد الإمام علي بن أبي طالب في الكوفة، فكتب قائلا:

أهلا بأشرف أوبة وأجلها * لأجل ذي قدم يلاذ بنعلها**

فرشت لك الترب التي باشرتها * بشفائها من كهلها أو طفلها**

لم تخط فيها خطوة إلا وقد * وضعت لرجلك قبلة من قبلها**

وإذا تذللت الرقاب تقربا * منها إليك فعزها في ذلها**

وأكثر الوزراء الذين مدحهم الصابي هو الحسن بن محمد عبدالله بن هارون أبو محمد المهلبي، **وفيه يقول الصابي:**

وتعلقت بالرئيس الذي صر * ت رئيسا مذ عدني فيا لعبيد**

والوزير الذي غدا في الوزراء ال * ملك ركنا لعزه الموطود**

أريحي مهلبي سعيد ال * جد صافي الجدوى كريم الجدود**

- **الوصف:** يقول في وصف الورد

أما ترى قد حياك زائره * فرجت عن كل مصدور**

كأن أنفاسه أنفاس غانية * ممشوقة خالطت أنفاس مخمور**

وقال في النرجس:

رب يوم نقعت فيه غليلي * وهمومي بين الضلوعي كمون**

بوجوه مملوءة بميون * وعيون تخشى عليها العيون**

- **الخمريات:** يقول

كوكب الإصباح لاحا * طالعا والديك صاح**

فأسقنيها قهوة تأ * سومن الهم جراحا**

ذات نشر كنسيم ال * روض غب القطر فاحا**

وله العديد من الأغراض فقد كتب في جميعها من التهاني والتعازي والهجاء والعتاب والحبس والشكوى، وفي حب أبنائه، والمرض، الشيب والكبر، والرثاء، الحكمة، بالإضافة إلى مواضيع أخرى .

الملحق ٢: الرسائل التي أخذت منها نماذج التحليل[١]:

أ- رسالة أبي اسحق الصابي عن المطيع لله رحمه الله إلى ركن الدولة أبي علي الذي كتب إليه بخبر أسر الدمستق سنة ٣٦٢ه .

ب- نسخة كتاب أنشأه أبو اسحق إبراهيم بن هلال الصابي، عند فتح بغداد وانهزام المماليك سنة ٣٦٤ ه.

ج - نسخة كتابه إلى المطيع لله عن عز الدولة عند دخوله الموصل موجودة في كتاب المختار من رسائل الصابي .

د - كتابه عن الوزير أبي الفضل العباس بن الحسين الشرازي .

[١] المختار من رسائل الصابي

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر:

- القرآن الكريم، رواية ورش عن نافع

- المعاجم:

١ - أبو فارس أحمد بن فارس بن زكرياء، معجم مقاييس اللغة، دار الجيل بيروت١٩٧٩.

٢ - معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ط٤، مكتبة الشروق الدولية القاهرة ٢٠٠٤ .

المراجع:

الكتب:

١- أبو البقاء الكافوري، معجم المصطلحات ، مؤسسة الرسالة،١٩٩٨.

٢- أبو بكر محمد الصولي، أدب الكتاب، المكتبة العربية ببغداد، العراق ١٣٤١ هجري.

٣- أبو هلال العسكري، الصناعتين، ب.ت.ن،

٤- أبو العباس أحمد القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج١١، المطبعة الأميرية بالقاهرة، ج١١، مصر ١٩١٧.

٥- أبو العباس أحمد القلقشندي، صبح الأعشى، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ج١٤، المطبعة الأميرية بالقاهرة ، مصر ١٩١٩.

٦- الأمير شكيب أرسلان، المختار من رسائل الصابي ط١، دار التقدمية، لبنان ٢٠١٠.

٧- الخطيب القزويني محمد بن عبد الرحمان جلال الدين ، الإيضاح في علوم البلاغة، ط١، دار الكتاب العلمية، لبنان،٢٠٠٢.

٨- السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبان والبديع، ط١،دارالآفاق العربية، القاهرة٢٠٠٢.

٩- اسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب، البرهان في وجوه البيان، مكتبة الشباب، القاهرة١٩٦٦ .

١٠- حسين علي محمد، التحرير الأدبي، دراسات نظرية ونماذج تطبيقية،ط٧، مكتبة العبيكان.

١١- حسين نصار، نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ٢٠٠٢.

١٢- خالد الحلبوني، فن الرسائل النثرية في العصر العباسي، د.ن.غ.م .

١٣- صلاح فضل، علم الأسلوب مبادؤه وإجراءاته، دار الشروق، ط١، القاهرة١٩٩٨

١٤- ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، مطبعة مصطفى البابي سليمان الحلبي وأولاده، القاهرة .

١٥- عبد الله بن محمد بن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، مكتبة لسان العرب، دار الكتب العلمية، لبنان ١٩٨٢.

١٦- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع ط٣، القاهرة١٩٩٢.

١٧- غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دارنهضة مصر للطباعة، القاهرة، ١٩٩٧.

١٨- قيس المغشغش السعدي، أبي اسحاق الصابي – درر النثر وغرر الشعر-، ط١، مطبوعات الثقافة أربيل، ٢٠٠٩.

١٩- محمد حسنين أبو موسى، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، دار الفكر العربي، القاهرة.

٢٠- محمد عبدالمنعم خفاجي، الأسلوبية.. والبيان العربي، دار المصرية البناينة،ط١، القاهرة١٩٩٢.

٢١- زكي مبارك، النثر الفني في القرن الرابع، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة، مصر٢٠١٢

٢٢- شهاب الدين أبي الثناء محمود الحلبي، حسن التوسل في صناعة الترسل، دارالوهبية مصر١٢٩٨.

٢٣- ياسر عبد الحسيب رضوان، فن الرسالة – دراسة أسلوبية حجاجية - شبكة الألوكة.

رسالة ماجستير: أحمد علي جفات، آليات بناء الأنواع النثرية –دراسة فيكتب التراجم الصفدي-، رسالة ماجستير منشورة، جامعة القادسية، ٢٠١٧ .